الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الروح الثورية في شعر مفدي زكريا
"الإلياذة" أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي/ لغة عربية

إعداد الطالب(ة):
* فطيمة بوهرور
* لمياء زوالة

إشراف الأستاذ(ة):
* هشام باروق

السنة الجامعية: **2014/2013**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

مقدمة:

لو تصفح أحدنا أدراج المكتبات العامة أو الخاصة لوجدها تزخر بالإنتاج المشرقي، وتقل فيها مصادر ومراجع الأدب الجزائري، ولقد لاحظنا عزوفًا ونفورًا كبيرًا عن مطالعة الأدب الجزائري، خاصة الشعر ودراسته والعمل على إثرائه؛ والحجة في ذلك أن البعض لا يميل إلى تذوق هذا الأدب، أو أنه لم يرق إلى مستوى الأدب المشرقي حتى يحظى بالاهتمام والدراسة.

لهذا ارتأينا أن يكون موضوع بحث تخرجنا في الأدب الجزائري؛ وبالضبط حول "إلياذة الجزائر" لـ "مفدي زكريا"، فهذا الأخير يعد من خيرة الشعراء الجزائريين المحدثين، وإلياذته تعد قمة من قمم الشعر العمودي الجزائري.

ونظرًا للأهمية التي تكتسبها "الإلياذة" باعتبارها تمثل تاريخ الأمة الجزائرية منذ العصر القديم حتى عصرنا هذا، فهي وبدون مبالغة لوحة فنية رهيبة، رائعة، إنها جزائر الأمس واليوم والغد، بتاريخها العظيم، وأبطالها العظماء، وطبيعتها الخلابة، من جبال شاهقات، شامخات، ومساحات خضراء ساحرة، ووديانها التاريخية، وصحرائها الشاسعة.

وقد كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع هو:

* إعجابنا الشديد بـ "مفدي زكريا" وولعنا به، وهذا أمر ليس حديث العهد، أو إحساسًا آنيًا عابرًا، فهذا الإحساس تولد لدينا منذ مرحلة الصبا، حينما كنا أطفالاً صغارًا على مقاعد الدراسة، في مرحلة التعليم الابتدائي، نرتل بعض الأناشيد الرائعة، وقد زاد هذا الشعور بعد اطلاعنا على "إلياذة الجزائر" وسماعنا لها مرتلة بصوت صاحبها متنبي الجزائر، فأعطاها الذوق الفريد، والإحساس الجميل، والموسيقى الموحية المؤثرة، إنه بحق رجل عظيم، لم يكتب لشاعر جزائري أن ملأ الدنيا، وشغل الناس مثله.

* بالإضافة إلى سبب أخر وهو الإجحاف والتهميش اللذان لقيهما من قبل النقاد، والباحثين من أبناء الجزائر ووطنه العربي، واختيارنا لـ "مفدي زكريا" ليس تقليلاً من قيمة الشعراء الآخرين.

وعندما بدأنا بدراسة الموضوع الثوري من خلال "الإلياذة" تبادر إلى ذهننا الكثير من الأسئلة من بينها:

– هل الأحداث الموجودة في "الإلياذة هي أحداث حقيقية واقعية؟ أم هي من صنع خيال "مفدي زكريا"؟ وهل استطاع الالتزام بقضايا وطنه الجزائر من خلالها؟.

– هل أجاد "مفدي زكريا" تصوير تاريخ الأمة الجزائرية؟.

– كيف أثرت "الإلياذة" في نفوس الجزائريين؟

– هل استوفت "الإلياذة" شروط الملحمة؟.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التاريخي الذي فرض نفسه، بالإضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي، والذي تجلى في تحليلنا للإلياذة واستنطاق أبياتها الشعرية.

ولم نكن أول من تطرق لهذا الموضوع، فهناك الكثير من الدراسات التي سبقتنا، مثل "حواس بري" من خلال كتابه "شعر مفدي زكريا" و"محمد ناصر" في كتاب "مفدي زكريا شاعر النضال والثورة" وكذا "يحي الشيخ صالح" في كتاب "شعر الثورة عند مفدي زكريا".

وقد اتبعنا في بحثنا على خطة كالتالي:

مقدمة: حيث عرفنا فيها بالموضوع، وذكرنا أهميته، وأسباب ودوافع اختياره، وطرحنا بعض الإشكاليات، كما تطرقنا إلى بعض الدراسات السابقة، بالإضافة إلى ذكر المنهج المعتمد والصعوبات والمشاكل التي واجهتنا، وأنهيناها بشكر.

مقدمة:

مدخل: تناولنا فيه نبذة عن حياة الشاعر "مفدي زكريا".

الفصل الأول: وهو معنون بالثورة والالتزام، وقد تطرقنا فيه:

أولاً: مفهوم الثورة والشعر الثوري، ودور الكفاح المسلح، بالإضافة إلى مميزات الشعر الثوري الجزائري، وأمثلة عن بعض الأشعار الثورية.

ثانيًا: تناولنا فيه مفهوم الالتزام لغة واصطلاحًا، بالإضافة إلى الالتزام من منظور الاتجاهات الغربية؛ (الواقعية، الاشتراكية، الوجودية)، وبعد ذلك تطرقنا إلى لبّ موضوعنا وهو الالتزام والثورة.

أما الفصل الثاني: فقد انتقلنا إلى شاعرنا من خلال "إلياذة"، وهي الأنموذج الذي طبقنا عليه في دراستنا هذه، وقد تناولنا فيه النفس الملحمي البطولي، والمعجم الشعري للإلياذة، إلى جانب شعرية المطالع واللازمة وقوة الإيقاع، والصورة والرمز والتناص واستحضار الشخصيات.

خاتمة: والتي كانت عبارة عن ملخص وحوصلة لنتائج البحث.

ولا نريد أن نعرج كثيرًا على المتاعب والصعوبات التي واجهتنا، فهي أمر طبيعي في أي بحث، وتتمثل هذه الصعوبات في:

- قلة المصادر والمراجع المتخصصة في الأدب الجزائري، وعدم توفرها في مكتبة المركز الجامعي.
- صعوبة تصنيف المادة العلمية، وتحليلها، وإظهار مراميها.
- الوقت الضيق الذي تخصصه المكتبة.

وبشيء من الصبر والتأني، وبتوجيه من الأستاذ المشرف استطعنا التغلب عليها وأخرجنا بحثنا هذا بهذه الكيفية وبهذه الصورة.

وفي الأخير لا يسعنا إلاّ أن نشكر الله عز وجل ونحمده على ما منحنا لإنجاز هذا العمل المتواضع، ونتقدم بالشكر والعرفان لأستاذنا الفاضل الذي قبل الإشراف علينا، ولم يبخل بالتوجيهات والنصائح، كذا حسن معاملته لنا.

مدخـــل

أولا: التعريف بمفدي زكريا:

« شاعر الثورة الجزائرية ومدّون أحداثها، في شعره إبداع؛ في الصوغ امتاز به على أكثر أقرانه، نظم الشعر في أثناء الدراسة، فكان شاعر الوطنية والمناسبات الخطيرة، وأعلنت الثورة (أول نوفمبر 1954) فكان شاعرها فطار صيته واشتهر شعره، رحل إلى تونس والمغرب واتصل بحكامها ومدحهم، وهو صاحب نشيد الثورة الجزائرية، الذي صار فيما بعد النشيد الرسمي للدولة، ونشيد العلم، ونشيد اتحاد العام الطلبة الجزائريين، ونشيد اتحاد العام للعمال الجزائريين»[1].

فهو الشاعر الملهم، شاعر الكفاح الثوري والسياسي، عقد العزم أن يخوض معركة التحرير لا بالرصاص بل بالقلم الجريء والكلمة الثائرة الشجاعة، فقد قدم خير أداء فشارك في ذلك بشق طريق التحرير.

لقد أبدع فأجاد فجاءت أشعاره حيّة ناضجة تثير كوامن الوجدان وتحرك سواكن الأشجان، فقد استطاع بقوة تسجيل اسمه على صفحات تاريخ الجزائر.

1) نسبـــه:

هو الشيخ زكريا بن سليمان بن يحي بن الشيخ بن الحاج عيسى، لقبه زميل البعثة الميزابية والدراسة الفرقد سليمان بوجناح بـ " مفدي زكريا" فأصبح لقبه الأدبي الذي اشتهر به.

ولد يوم الجمعة 12 جمادي الأولى 1326هـ الموافق لـ 12 جوان 1908م بـ " بني يزغن" ولاية غرداية[2].

(1) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص:309.

(2) مفدي زكريا: أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، جمعه وحققه مصطفى بن الحاج بكير حمودة، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، 2003، ص:01.

2) أسرتــه:

من عائلة تعود أصولها إلى الرستميين الذين أسسوا مدينة تيهرت في القرن الثاني من الهجرة والتي تعرف اليوم بمدينة تيارت غرب الجزائر[1].

3) العوامل المؤثرة في نجاحه كشاعر:

في بلدته تلقى مفدي زكريا دروسه الأولى في القرآن ومبادئ في اللغة العربية، التحق بالبعثة العلمية الميزابية التي قصدت تونس؛ للإكتراع من مناهلها العلمية العذبة تحت رئاسة الأساتذة الأعلام المشائخ محمد الثميني وأبي اليقظان إبراهيم بن الحاج عيسى، والعلم الشيخ صالح بن يحي السلفي، والشيخ إبراهيم طفيش، فدرس على هؤلاء دروساً دينية وأخرى في الوطنية والتضحية في سبيل الوطن العزيز والأمة المجيدة ومكث سنتين بمدرسة السلام القرآنية، فكانت هي المدرسة التي تلقى فيها مبادئ العربية والعلوم الكونية على الأساتذة المشايخ الشاذلي المرالي، عبد العزيز الباوندي وعلى السيد صالح بن الأحمر مبادئ الفرنسية، وحصل في هاته المدرسة على شهادة ابتدائية في العربية في السنة الأولى، وبعد السنة الثانية دخل المدرسة الخلدونية فدرس فيها أشياء كثيرة في الحساب والهندسة والجبر والموازين والجغرافيا والتاريخ الإفريقي، ثم انخرط في سلك الجامع الأعظم جامع الزيتونة المعمور، فقرأ فيه على أساتذة كبار كتبًا عاليةً في النحو والبلاغة، وقد حضر مسامرات الأديب العربي الكبادي في الأدب، بمدرسة الترجمة للغة العربية العليا، ودرس جزءً من كتاب " الشعر والشعراء" لابن قتيبة، ثم عاد الكرة إلى الخلدونية فأخذ الشهادة الثانوية في امتحانها[2]، فقد كان موسوعيًا ملمًا بجميع العلوم؛ كعلم القرآن واللغة العربية والبلاغة والنحو بالإضافة إلى التاريخ والجغرافيا والحساب...

كلها علوم تلقاها على يد مشايخ وأساتذة كبار، كما ساعد على نبوغه ونجاحه كشاعر الرحلات العلمية والثقافية التي كان يقوم بها خارج الوطن مما أدى إلى اتساع معارفه.

---

(1) محفوظ كحوال: أروع قصائد مفدي زكريا، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، قسنطينة، (د.ت)، ص:10.

(2) محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، دار النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، المجلد1، 2007، ص:236.

4) شخصيته:

إنّ شخصية مفدي ـ كما يحكي عنه أصدقاؤه الحميمون ـ تمتاز بالتفتح والبساطة وعدم الانطواء، فقد كان دمث الأخلاق، سمح الطبع، لطيف المعشر كثير الميل إلى التنكيت والدعابة، دائم التبسم، لا تفارق البسمة محياه حتى في أحلك الظروف، سريع الإنسجام بالآخرين بحيث يُخَيل للذي يتعرف عليه أول مرة، ويحادثه في أول لقاء أنه يعرفه من أمد طويل، بعيد في علاقاته بالآخرين عن التصنع والتكلف، كريم إلى حدّ التهور يمد يد المساعدة لأصدقائه دون تحفظ[1].

« ومن جهة أخرى كان معتدًا بشخصيته في غير صلف ولا كبرياء، يتشبث بآرائه ومواقفه يحب دائمًا أن يكون سيد مواقفه واختياراته، رافضًا للتبعية، شديد الصراحة والجهر بآرائه التي يؤمن بها، مما عرضه لكثير من المشكلات والمضايقات، لقد كانت تراوده أمنيتان في حياته:

أولاً: أن يجمع شعره الذي قاله منذ بداية رحلته الشعرية في العشرينات إلى سنة 1954 لأنه موزع بين جرائد ومجلات مختلفة وقد صعب تحقيق هذا على الشاعر نوعًا ما، لأنه لم يكن يستعمل كراسًا أو دفترًا يدون فيه ما ينظم من شعر، وقد كان يسجل قصائده في أوراق مستقلة سهلة الضياع.

ثانيًا: أن يكتب مذكرات حياته السياسية والنضالية منها، منذ التحاقه بحزب نجم شمال إفريقيا في الثلاثينيات، وهو يعتقد أنها ستكون مهمة وثرية ومثيرة أيضًا، لأنه عايش جميع أحداث الحركة الوطنية منذ نشأتها، وكان من أقطارها واحتك بجميع الشخصيات التي كان لها دور هام في الحركة الوطنية بعامة والثورة المسلحة بصورة خاصة»[2].

(1) يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 1987، ص:49.

(2) المرجع نفسه، ص:50.

5) شـــاعريتـــه:

يحكي لنا صديقه "الفرقد" الذي كان طالبًا معه بالبعثة أنه كان مثالاً للذكاء، وحضور البديهة، ومثار إعجاب أساتذته، وأنه منذ ذلك الوقت المبكر بدأ يقرض الشعر، وكان يلقي محاولاته الشعرية على أصدقائه وأساتذته فيجد منهم الإعجاب والتشجيع، وأنهم كثيرًا ما يكونون في حصة درس من الدروس يعالجون قضية ما، فيطلب الأستاذ من "مفدي" أن يقول فيها شعرًا. فيقوم في الحال ويرتجل بيتًا أو أبيات[1].

« ولقد قرأ الزحافات والعلل والدوائر على شاعر الخضراء العبقري "الشادلي خزندار"، كما كان له اطلاع شخصي على العروض والموازين وكان شغوفًا بحب الآداب منذ أن كان طفلاً»[2].

6) نضاله السياسي:

تقلد "مفدي" العديد من المناصب السياسية، فقد « واكب الحركة الوطنية بشعره ونضاله على مستوى المغرب العربي، فانخرط في صفوف الشبيبة الدستورية في فترة دراسته بتونس، فاعتقل لمدة نصف شهر، كما شارك مشاركة فعالة في مؤتمرات طلبة شمال إفريقيا المناهضة لسياسة الإدماج»[3].

وقد كان أيضًا مسؤولاً في حزب النجم، كما اختير رئيسًا للجنة التنفيذية، وبعد سنة من ذلك تأسس حزب الشعب خلفًا لحزب النجم. « ولقد شرف حزب الشعب مفدي إسناده الأمانة العامة ورئاسة اللجنة التنفيذية إليه، وكانت هذه نقطة تحول جذرية في حياته السياسية، إذ لم تمض على تعينه هذا سوى أيام عديدة حتى عاد تحرش السلطة الاستعمارية به وبزملائه من جديد»[4].

---

(1) يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص39.

(2) بلحيا الطاهر: تأملات في إلياذة الجزائر، (د.ط)، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص:727.

(3) مفدي زكريا: أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، ص02.

(4) محمد ناصر: مفدي زكريا "شاعر النضال والثورة"، ط2، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1987، ص16.

فقد كان "مفدي" لا يخرج من السجن إلا ليعود مرة ثانية إليه، حيث « دخل السجن خمس مرات متوالية»[1]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على إصراره وصموده وتمسكه بمواقفه وآرائه التحررية والنضالية.

كما « انخرط في صفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية... وخلايا جبهة التحرير الوطني بالجزائر العاصمة»[2].

لذلك يمكننا القول بأن "ثورية" شاعرنا لا تكمن فقط في دواوينه الشعرية وكتاباته النثرية، بل في نضاله السياسي أيضًا، وجهاده ومشاركته في الثورة، ولذا فهو شاعر قول وفعل، إذا تجاهل الناس هذه الحقيقة فإن التاريخ يؤكدها.

7) وفاتـــه:

توفي يوم الأربعاء 2 رمضان 1397هـ الموافق لـ 17 أوت 1977م بتونس ونقل جثمانه إلى الجزائر ليدفن بمسقط رأسه ببني يزغن بغرداية[3]. يغطيه العلم الوطني الجزائري الذي كتب الشاعر نشيده بدمه، ليرقد آمنًا مطمئنًا في الأرض التي قضى حياته وهو يهتف بها، وينادي بعزتها وكرامتها.

وقد أقيم له حفل تأبيني بتونس شاركت فيه شخصيات من رجال الحكومة والحزب التونسيين، والقائم بأعمال سفارة الجزائر بتونس، وعضو من الديوان الملكي المغربي، وقد ألقى كلمة التأبين السيد الشاذلي القلبي وزير الشؤون الثقافية آنذاك، كما أبَنَ الشاعر صديقه الشاعر الحبيب شيبوب بقصيدة شعرية مؤثرة[4].

توفي وهو حامل لوسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الأولى من عاهل المملكة المغربية محمد الخامس بتاريخ 21 أفريل 1987م، ووسام الاستقلال ووسام الاستحقاق الثقافي من

(1) فوزي عبد القادر الميلادي: من أدب المشرق والمغرب، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998، ص98.

(2) بلحيا الطاهر: تأملات في إلياذة الجزائر، ص44.

(3) محفوظ كحوال: أروع قصائد مفدي، ص:03.

(4) يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص:48- 49.

رئيس الجمهورية التونسية الحبيب بورقيبة، ووسام المقاومة من رئيس الجمهورية الجزائرية "الشاذلي بن جديد" بتاريخ 25 أكتوبر 1984م، وشهادة تقدير على أعماله ومؤلفاته وتقدير الجهود المعتبرة ونضاله في خدمة الثقافة الوطنية من رئيس الجمهورية الجزائرية الشاذلي بن جديد بتاريخ 8 يوليو 1987م، ووسام الأثير من مصفّ الاستحقاق الوطني من فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة بتاريخ 4 يوليو 1999م[1].

8) آثـــــاره:

لقد رحل مفدي زكريا وترك تراثًا ضخمًا قَيْد التحقيق والنشر، وما نشر من كتاباته لحد الأن ضئيل جدًا، ولا يمثل إلاّ عشر كتاباته، لأنه كان مكثرا، يكتب في كل مناسبة تصادفه وتراثه الأدبي ليس كله شعر، بل هناك كتابات نثرية لا نعرف عنها إلاّ العناوين.

وفي مقابلة صحفية، أدلى شخصيًا بهذه العناوين وهي:

- عوائق انبعاث القصة العربية.
- تاريخ الصحافة الجزائرية.
- تاريخ الفلكلور الجزائري.
- أضواء على وادي ميزاب (دراسة).
- نحو مجتمع أفضل.
- سبع سنوات في سجون فرنسا.
- حوار المغربي العربي الكبير (اللهجات).
- العادات والتقاليد في المغرب الموحد.
- الثورة الكبرى (أوبرت).

_ في العيد رواية.

(1) محفوظ كحوال: أروع قصائد مفدي زكريا، ص:03.

- مائة يوم ويوم في المشرق العربي.
- الجزائر بين الماضي والحاضر.
- مذكراتي.
- الصراع بين الشعر الأصيل والدخيل[1].

وله من الدواوين المطبوعة:

1. ديوان اللهب المقدس: طبع ثلاث طبعات: الأولى سنة 1961 بالمكتب التجاري ببيروت، والثانية ضمن منشورات وزارة التعليم الأصيل والشؤون الدينية بالجزائر سنة 1973 والثالثة سنة 1983، قامت بها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر.

2. تحت ظلال الزيتون: طبع سنة 1965 بالمطبعة الرسمية بتونس.

3. إلياذة الجزائر: طبعت سنة 1972 ضمن منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر، وهذه الطبعة حزت 600 بيت فقط. ثم نشرت كاملة في المجلد الأول من محاضرات الملتقى السادس للفكر الإسلامي سنة 1972.

4. من وحي الأطلس: طبع بالمغرب الأقصى سنة 1976[2].

كما يوجد له شعر كثير غير ما نشره في دواوينه متفرق في الصحافة الجزائرية والتونسية والمغربية، وبقي أمر جمعها في دواوين حلمًا يراود الشاعر، ولم يستطع تحقيقه رغم إعلانه عن هذه الدواوين في أحاديثه وتراجمه الشخصية: "أهازيج الزحف المقدس" أغاني الشعب الجزائري الثائر بلغة الشعب، "انطلاقة" ديوان المعركة السياسية في الجزائر 1935- 1954، "الخافق المعذّب" شعر الهوى والشباب، "محاولات الطفولة" إنتاج الشاعر في صباه[3].

(1) بلحيا الطاهر: تأملات في إلياذة الجزائر، ص:48- 49

(2) يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص:50- 51.

(3) مفدي زكريا: أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، ص:03.

الفصل الأول

أولا: مفهوم الثورة في المصطلح اللغوي والسياسي:

أ- مفهوم الثورة في المصطلح اللغوي:

ثار الشيء ثورًا، وثؤورًا، وثورانًا، تثَوّر: هاج. والجمع أثوارُ، وثيارٌ، وثيارةٌ، وثورةٌ، وثيرةُ، وثيرانٌ، والأنثى ثورة[1]، ويقال انتظر حتى تسكن هذه الثّورة، وهي الهيج. وثار الدخان والغبار وغيرهما. ويثور ثورا: سطح وظهر وأثاره هو، ويقال ثارت نفسه إذا جَشَأَتْ وإن شئت جاشت، قال "أبو منصور": جشأت أي ارتفعت، وجاشت أي فارت، وثوّر البَرْكِ واستثارها أي أزعجها وأنهضها. وفي الحديث: فرأيت الماء يثور من بين أصابعه أي يَنْبُعُ بقوة وبشدة[2]. وثوّر فلان الشرّ تثويرًا: هَيجه وأظهره، وثوّر القرآن أيضًا: بحث عن عمله[3].

ثار العسكر من مركزه، وثار القطا من هجائمه، والتقوا فثار هؤلاء في وجوه هؤلاء، واستثرته: هيجته.

ثارت بينهم الفتنة والشر، وثارت به الحَصْبَة، وثوّر عليه شرًا، وثارت نفسه: جاشت، وثار ثائره وفار فائره إذا اشتعل غضبًا، وثار الدم في وجهه، ورأيته ثائرًا[4].

وقد وردت كلمة الثورة في عدد من آيات القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿والله الذي أرسل الريَح فتثير سحابًا فَسُقْنهُ إلى بلدٍ ميّتٍ فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشُور﴾[5] فالله عز وجل هنا يصف عمل الرياح.

---

(1) أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000، ص:2007.

(2) ابن منظور: لسان العرب، مادة "ثار"، ضبط نصه وعلق حواشيه خالد رشيد القاضي، ط1، ج2، دار صبح وأدسيوفت، بيروت، لبنان، 2006، ص:136.

(3) محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي: المختار من صحاح اللغة، د/ط، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1934، ص:66.

(4) أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998 ، ص:118.

(5) سورة فاطر، الآية:09.

وقوله أيضًا: ﴿ والمغيرات صبحًا فأثرن به نقعًا، فوسطن به جمعًا﴾ [1]. والمقصود هنا أنّ الخيل المغيرة أثارت الغبار.

ويقول عز وجل أيضًا: ﴿ كانوا أشدَ منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها﴾[2]، والمعنى هنا أنهم قلبوا وجهه الأرض.

ومنه فمصطلح الثورة قد استخدم ضمن ما يعني الهيجان والانقلاب والغضب.

ب- مفهوم الثورة في المصطلح السياسي:

تعرف الموسوعة العربية المسيرة مصطلح الثورة بقولها: « هي تغيير جوهري في الأوضاع السياسية والإجتماعية لدولة معينة لا تتبع في إحدى الوسائل المقررة لذلك في النظام الدستوري لتلك الدولة، ويفرق بعضهم بين الثورة وبين قلب نظام الحكم على أساس أنّ الأولى يقوم بها الشعب نفسه، في حين يقوم بالانقلاب بعض رجال الحكم... ويترتب على نجاح الثورة سقوط الدستور وانهيار النظام الحكومي القائم»[3].

إذا فمصطلح الثورة يرتبط بتغييرات جذرية للواقع الاجتماعي والسياسي، وهذا التغيير في حدّ ذاته مرتبط بتحقيق أهداف إنسانية نبيلة كمطلب الحرية والعدالة والمساواة والارتقاء، فالثورة السياسية في أيّ مجتمع هي الخروج عن الوضع الراهن سواء إلى وضع أفضل أو أسوء من الوضع القائم.

وللثورة تعريفات كثيرة قديمة وحديثة؛ أما التعريف القديم فقد وضع مع انطلاق الشرارة الأولى للثورة الفرنسية، وهو « قيام الشعب بقيادة نخب وطلائع مثقفة لتغيير نظام الحكم بالقوة»[4].

(1) سورة العاديات/ الآية:03- 04.

(2) سورة الروم/ الآية:08.

(3) أيمن تعليب: قصيدة الثورة في الخطاب الشعري المعاصر جدل الشعر والسلطة، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2010، ص:15.

(4) المرجع نفسه، ص15.

والمقصود هنا بالنخب والطلائع المثقفة، طبقة قيادات العمال أو ما يطلق عليها عند الماركسيين بطريقة البروليتاريا...

أما التعريف المعاصر والأكثر حداثة فهو" التغيير الذي يحدثه الشعب من خلال أدوات وبني الدولة كالقوات المسلحة مثلاً، أو من خلال شخصيات تاريخية فريدة وهي تحدث مجموعة من التغييرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تؤدي إلى تغيير جدري شامل في المجتمع لتحقيق طموحاته السياسية كتغيير نظام الحكم العاجز عن تلبية هذه الطموحات»[1].

فالثورة السياسية إذا هي التغيير الجذري والشمولي الذي يقوم به الشعب في مجتمع ما، وفي العديد من المجالات منها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، بالاعتماد على الأشياء المادية والمعنوية من أجل الوصول إلى نتائج سياسية.

والثورة السياسية هي " تغيير عن تحرك عنيف يقوم به شعب ما ضد سلطة حاكمة لا تمثل ذلك الشعب، ولا تلبي رغباته، وذلك قصد الإطاحة بها وبنظامها، واستبدالها بسلطة جديدة ونظام جديد»[2].

والمعنى هنا أنّ الشعب يغضب من الحكومة أو السلطة لأنها لا تمثله حقًا ولا تحقق له طموحاته ورغباته، لذلك يثور الشعب ضد هذه الحكومة وينقلب عليها.

لكن الثورة تختلف عن الانقلاب؛ فالانقلاب العسكري هو قيام أحد العسكريين بالوثوب إلى السلطة من خلال قلب نظام الحكم، بغية الاستئثار بالسلطة والحصول على مكاسب شخصية من كرسي الحكم، ونجد هذا النوع من الانقلابات موجود في الدول الإفريقية، أما الثورة فتعني عدم الرضا بوضع ما والتعبير عن ذلك بالرفض والهيجان، والقيام برد فعل قوي وعنيف.

(1) أيمن تعليب: قصيدة الثورة في الخطاب الشعري المعاصر، ص:16.

(2) يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص:55.

1- مفهوم الشعر الثوري:

« هو الشعر الذي قيل في موضوع الوطن، متحدثًا من آماله وآلامه، مُعَزِّفًا بالدواء الذي تستشري في كيانه، فالشعر الثوري هو شعر يستنهض الهمم ويحرك المشاعر ويُلهب حماس الجماهير، وهو الذي يرغب في التضحية، ويتنادى بالفداء ويدعو إلى الحياة الكريمة في ظل المثل العليا والأخذ بأسباب الحرية التي لا غنى عنها للإنسان، ليعيش عزيزًا في وطنه وسيدًا بين قومه ، إنه شعر يتشبث بالأرض ويرفض رفضًا قاطعًا الهروب من واقع يعيش أبناؤه في ظل ظروف سيئة»(1).

ومن هنا فالشعر الثوري هو الذي يرفع معنويات الشعوب وينصحهم ويوجه لهم الدعوة للاستنهاض والتحريض، كما يحثهم على التشبث بأرضهم والقيام بثورة لنبذ الظلم والاستعمار والتطلع واكتساب المجد والعيش بكرامة في أوطانهم.

« إنّ الكلمات تثور أمام محنتها في عجزها عن أداء المعنى، فالكلمات مفتاح قوة وميادين قتال وعلامات سيطرة واستحواذ وامتلاك الشعارات الثورية ترددها مراكز القوي، والأغاني الحماسية ترددها الجماهير الثائرة، فالشعر يعيد تأسيس كل مناحي الوجود والواقع والذات والتاريخ والثقافة والحضارة، إنّ خلق لنا موس الرتابة وتفكيك لثوابيت الإلف والعادة واستطلاع يصير لروح المستقبل في خفاء القلوب والعقول والمجتمعات، فهو حلم جمالي ومعرفي هادر ينساب في اللاوعي الجمعي العام ثم يهدر صوب أشواق التجسد والمثول والترامي في الشكل الجمالي الخاص به. والشعر الثوري هو القادر وحده على تحويل مخازن الأشواق الغائبة المنسية في عراء التهويمات إلى أجساد مآذن جمالية تبتهل بالخلق والتجديد والتأسيس»(2).

(1) نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر "الاتباعية الرومانسية ـ الواقعية الرمزية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص:433.

(2) أيمن تعليب: قصيدة الثورة في الخطاب الشعري المعاصر، ص:56.

« ويتجاوب الشعراء ويثورون لما أصابهم من زمن الثورة من تنكيل وتدمير وقمع، وما يتساقط فوق أرضها من ضحايا وشهداء يساندون ويمجدون كفاحها وبطولاتها ويهتفون بالمجد والخلود لشهدائها ويرثون بقصائدهم»[1].

والمقصود هنا أن الشعراء لما يأتي بصرهم على الجثث المتفحمة للشهداء والمتناثرة هنا وهناك، والمتقطعة إربًا إربا، بالإضافة إلى الخراب المادي، فإنهم يتأثرون بهذا الواقع الذي ينطق الصخر الأصم، فيتجاوبون معه، فيصورون هؤلاء الشهداء، ويرثونهم خير رثاء ويمجدون كفاحهم، ويحثون أبناء هذه الأمة على خوض معركة النصر حتى يتمكنوا من طرد أعدائهم.

« وبذلك تأتي كلمة الشاعر حقيقية مضيئة، خارقة، لأنها كلمة لا تخرج من الفم، بل هي خروج الروح الداخلية؛ أي الداخل الإنساني الفردي»[2].

والمعنى من هذا القول أنّ الشاعر لما يصور واقع الثورة فإن كلماته تأتي حقيقة وخروجها يشبه خروج الروح من الداخل، بعيدةً كل البعد عن الخيال لأن منبعها الواقع الخارجي.

« كانت انطلاقة أول نوفمبر 1954، فاصلاً تاريخًا بارزًا في تاريخ الجزائر، فقد تغيرت فيها المفاهيم وانقلبت الأشياء رأسًا على عقب، وتغيرت فيها حياة الشعب وتفكيره نظرة إلى الفكر والأدب والسياسة وشتى نواحي الحياة الأخرى، لقد بدأ الشعب حياة جديدة منذ الثورة المباكرة، بعد أن وجد نفسه يتخبط في متاهات من القلق والتذبذب والحيرة، فالزعماء قد برهنوا على عجز تامّ لفهم الشعب ومطالبه الجوهري، فأخذ الشعب يتطلع لزعامات جديدة تنتشله من هوة اليأس التي أوشك أن يتردّى فيها بسبب تطاحن السياسة على الزعامة، وتركوا الشعب يجتر آلامه في صمت، لعلّ خير قصيدة تعبر عن هذه الفترة، فترة ما قبل الثورة بقليل قصيدة محمد العيد آل خليفة "كيف يربو الهدوء" إذ يقول فيها:

(1) أبو القاسم محمد كرّو: دراسات في الأدب والنقد، د/ط، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1990، ص:94.

(2) عزيز السيد جاسم: دراسات نقدية في الأدب الحديث، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995، ص:169.

يا فؤادًا به احترق لا عج الهم فاحترق

ما عسى ينفع الأسى أمه شملها افترق

من لحيران في الدجى مسّه الضر والأرق

كلما شام بارقا خاله بالمنى برق

ريحه ضاع كل ما في الوغى من دم هرق»[1]

فهذه المقاطع تعبر بصدق عن شعور الشعب قبل الثورة بأنه أصبح وحيدًا في الميدان، بعد أن تخلى زعماؤه عن أهدافه التي صفى من أجلها طويلاً في ثورات متتابعة، قلّ نظيرها بين الثورات والشعوب، لكن لما جاءت ثورة نوفمبر ارتمى في أحضانها الشعب بكل ما لديه، وكرس لها جهوده، وضحا من أجلها، وبات أول نوفمبر يومًا خالدًا في تاريخ الجزائر، وباتت ليلة "نوفمبر" ليلة من أخلد الليالي في نفوس الجزائريين، إنها "ليلة القدر الكبرى" كما سماها مفدي زكريا.

2- دور الشعر الثوري في الكفاح المسلح:

« اندلعت الثورة وأكرهت الأدباء أن يشاركوا في السياسة مشاركة فعلية عنيفة، لم يتخلف شاعر أو كاتب ومفهوم الأدب قد تطور، والشيء الذي دفعه إلى هذا التطور في شكله وفي مضمونه تلك المقاومة العنيفة، فأصبح الأدباء ألسنة لهذا الشعب يعبرون عن نفسه أكثر مما يعبرون عن أنفسهم ويصورون حياة هذا الشعب أكثر مما يصورون حياتهم وأنفسهم، فأصبحوا مرآة الشعب ينطقون بلسانه ويصورون آلامه وآماله، فهم هداة الناس وقادتهم، لذلك نلمس في أدبهم الصدق والدقة الإنسانية»[2].

(1) عبد الله ركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، (د.ط)، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، (د.ت)، ص:135.

(2) محمد حسن فتح الباب: ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2005، ص:32.

« فالشعراء يناصرون في قصائدهم الثورة ويحضان أبناءها وسائر أبناء أمتهم في الانضمام إلى ركب النضال وبدل الجهد والمال أو تقديم ما يستطيعون من وسائل العون إلى المحاربين أو أهاليهم الذين يضطهدهم العدو المحتل ويشردهم، وهكذا يقف أولئك المبدعون في صفوف المناضلين ويدافعون بألسنتهم وأقلامهم، لذلك يقف شعراء المقاومة في مقدمة المثقفين والمبدعين؛ لأنهم يمثلون منذ فجر التاريخ ضمير البشرية، وقدرة الشعوب على الاستمساك بحبل الحق مهما تستبد الطغيان واشتد العدوان ولأنهم يملكون سلاح الكلمة والفكر الذي يستطيع التغلب على الأسلحة المادية، وبهذا السلاح يدافعون على أقدس شيء وهي الحرية والعدل، فيستيقظ النائم من غفلته وتتألف القلوب»[1].

لذلك يمكننا أن نقول: أنّ الشعر الثوري هو اللسان الناطق لهذا الشعب، يعبر عنه ويصور الآلام التي يتخبط فيها من وراء الاستعمار، فالشعر الثوري هو انعكاس للواقع المرير.

فالدور الذي يؤديه الشعر الثوري لا يقل أهمية ولا تأثيرًا عن الدور الذي تؤديه المقاومة بالسلاح، فالكلمة الصادقة البليغة تنفد إلى أعماق النفس فتهز الوجدان، كل هذا يسهم في تعبئة الشعب وتحريضه على الكفاح من أجل الحصول على الحرية.

فالشاعر الوطني لا يؤثر في أبناء شعبه وحدهم، بل كثيرًا ما يصل صوته عبر وسائل الإعلام إلى كثير من البلدان الأخرى، وقد يكون من بينها بلد العدو نفسه إذ تترجم قصائد هذا الشعر إلى لغته (لغة العدو)، مما يؤدي إلى كسب المزيد من أنصار الثورة أو المتعاطفين مع شعبها.

3- مميزات الشعر الثوري الجزائري:

لقد كان الشعر الجزائري دائم الصلة بأصوله العريقة، كما كان ذات صلة بالتيارات الأدبية الحديثة وكلا الجانبين ترك آثار معينة في الشعر الجزائري، من ذلك كان يستمد

(1) محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، (د.ط)، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص:389.

خصائصه، ومن يتبع الدراسات الأدبية في الشعر الجزائري يجد أن الشعر يتميز بخصائص كثيرة أهمها:

3-1- شعر القضية وشعر النضال ضد الاستعمار:

إنّ النضال ضد الاستعمار سمة اكتسبها الشعر الوطني الجزائري من ظروف الاحتلال الفرنسي للجزائر، وإلا فإنّ الوطنية قد تعني الاعتزاز بالوطن وأمجاده والتعبير عن حبه والولاء له، وإذا كانت المعاني السابقة روافد مهمة لمعاني الوطنية بصورة عامة، فإنها في الجزائر ارتبطت بالنضال ضد الاستعمار المتسلط على الوطن، والذي ينكر على الجزائريين كل الحقوق بما في ذلك حقهم في التعبير عن حبهم لوطنهم والاعتزاز به.

3-2- شعر الدفاع عن الحقوق الوطنية:

إنّ الاحتلال المنتصب في أرض الوطن استولى على الحكم ومصادر الثورة والتجارة، واحتكر كل خيرات ومنافع الوطن، وأنكر على الجزائريين حقهم الطبيعي في وطنهم وخيراته، وقد تصدى الشعر الوطني الجزائري للمحتلين الفرنسي ورد مزاعمهم الكاذبة ودافع عن حقوق الشعب الجزائري، وحين أفلست الوسائل السلمية في الدفاع والمطالبة بالحقوق، تبنى الشعر الوطني الدعوة إلى الثورة ومواجهة الاستعمار بالعنف، وقد كان أيضًا شعر الدعوة إلى النهضة وتحقيق التقدم.

كما نجد الشعر الوطني يبتعد عن الحزبية ويتمسك بالروح الوطنية العالية، يوجه النقد للأحزاب ويدين خلافاتها، ويحث على الوحدة الوطنية ويعتبرها سلاحًا مهمًا[1].

3-3- التشابه في المواضيع والأغراض:

(1) ينظر: أحمد شرفي الرفاعي: الشعر الوطني الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص:230.

مصدر هذا التشابه يتمثل في تأثير المصلحين على النهضة ويعكس تأثيرها القوي على الأدب في فجر النهضة، ويعود ذلك إلى أنّ حركة الإصلاح كانت إطارًا ثقافيًا ضم معظم المثقفين باللغة الوطنية بعد تشتت وضياع، ووجههم إلى غايات دينية وثقافية ووطنية منذ بدأت الدعوة إلى تأسيس هيئة وطنية تضم شمل المثقفين وتنظم هودهم.

إلا أنّ هذا التوجيه لجهود المثقفين في مجال النضال الديني والثقافي والوطني كانت له بعض النتائج السلبية على الحياة الأدبية، فقد ذابت شخصيات الأدباء في إطار الحركة الإصلاحية وخضعت آراؤهم لتوجيهها وانعكس ذلك على إنتاجهم، وأدى إلى سمة المواضيع التي يتطرق إليها الشعراء.

فعندما نشر "الهادي السنوسي" قصيدته التي يقول فيها:

مرت سنوات العسف الذي ملأ الدنا وانهار حصن المستبد القاهر

وترافعت للعدل رايات وما من راية إلا لشعب ظافر

ودعائم الملك العظيم معارف فإذا أعرفت فأوجفن بالحافر[1]

ونشر "رمضان حمود" بعد ذلك بقليل قصيدة يقول فيها:

عصر الضلالة والغواية قد مضى حيث الجمود على النفوس تفوقا

حيث الركود على الجهالة عادة حيث المدارس واجب أن تغلقا

هبُوا إلى نيل المعارف إنها روح السعادة والسيادة والبقا[2]

فكلاهما بشر ببزوغ فجر العدالة الاجتماعية وانقضاء عهد الظلم والاستبداد بعد إشراق عهد العلم والنهضة، وكلاهما حثّ على طلب المعارف وأعطى للثقافة مفهومًا واسعًا ومعادلاً لمعنى البعث الحضاري.

(1) أحمد شرفي الرفاعي: الشعر الوطني الجزائري، ص ص:231

(2) المرجع نفسه، ص:231- 234.

فالتشابه في الأغراض والمواضيع سمة بارزة في الشعر الوطني الجزائري وهي سمة سلبية كما ذكرنا بسبب ما أدت إلية من التشابه في الآراء والأساليب، مما جعل العديد من القصائد تبدو كأنها قصيدة واحدة.

3-4- الروح الخطابية:

لقد سلك الشعراء الجزائريون نهجًا خطابيًا واضحًا، وعبروا عن آراء خاصة وحاولوا الإقناع بها كما كان من أهدافهم بث الوعي الوطني وتكوين المواطنين.

ومظاهر الخطابية نلمسها في الأساليب الإنشائية الغالبة على القصائد الوطنية بما يقوم عليها من الأمر والنهي وتكرار الصيغ والعبارات نفسها في القصيدة الواحدة، ثم إخضاع القصيدة للبناء الخطابي، حيث نجد للقصيدة الوطنية مقدمةً وموضوعًا وخاتمةً، وقد أضاف "محمد العيد" إلى بعض قصائده سمة خطابية أخرى هي الدعاء الذي يبدأ به بعض قصائده وينهي به أخرى، ويقول "محمد العيد" في هذه القطعة:

قل للألى هبوا إلى داعي العلا نوافرا

سيروا على ضوء اليقي ن تأمنوا المعاثرا

فالله خير حافظا والله خير ناصرا

وأن يكون لحما هـ المستباح غائرا

فهو المعز أولا وهو المعز آخرا [1]

فهنا يتوجه بشعره إلى المجتمع ويهدف إلى التأثير فيه بدافع وطني، وبهمه النضال الذي يشارك فيه بآرائه ونصائحه، وقد كرر "محمد العيد" التعابير، ونهى وتمنى ودعا كما يدعوا خطيب المناسبة الدينية بخاصة.

(1) ينظر: أحمد شرفي الرفاعي: الشعر الوطني الجزائري، ص:235- 237.

فقد كان "محمد العيد" يهدف إلى التأثير في النفوس بصورة مباشرة، ويخضع في أسلوب للهدف الوطني الذي قصد إليه ويعطي الأولوية في شعره للوظيفة الفكرية.

فالشعراء الجزائريون كانوا مدركين للدور الإرشادي الذي يقومون به استجابة منهم لظروف النهضة ولأوضاع المجتمع الجزائري.

3-5- واقعية الشعر الوطني الجزائري:

الذي نعنيه هنا ليست الواقعية الفنية؛ وإنما هي الواقعية الموضوع، وهي نابعة من وظيفة الشعر عند الشعراء، وهي وظيفة "اجتماعية وسياسية وأخلاقية" ربطت بين الشعر الوطني وبين الجوانب السابقة للحياة الاجتماعية، واستمد منها أغراضه واهتم بقضاياها اهتمامًا شاملاً انعكس عليه مفهوم الوطنية الواسع بجوانبه الدينية والثقافية والسياسية، ومظاهر الواقعية تتمثل في الأغراض المستمدة من الواقع الوطني والمتتبع لهذا الجانب في الشعر الوطني الجزائري يلاحظ أن أغراض الشعراء وأفكارهم مستمدة من الواقع المعيش وتتبعه بالوصف، ولا تتجاوز ذلك إلى الخيال الشعري أو الرمز الفني تستوحي منه أغراضًا وطنية أو صورًا للبؤس الذي عاشه الشعب الجزائري، وتكشف بذلك عن مشاعر الألم التي تضطرم في النفوس بسبب الاحتلال وقيوده البغيضة وتبين عمقها وأبعادها.

وهناك مظهر آخر للواقعية بالمفهوم الذي حددناه، يتمثل في الأسلوب السطحي الذي يتناول به الشعراء أغراض شعرهم، ويقررون الواقع معتمدين على المدلول المعجمي للكلمة في التعبير ونقل المشاعر دون الاستعانة بعنصر الخيال وغيره، مما جعل أسلوبهم يقترب من النثر بقدر ما يبتعد عن الشعر. من ذلك القطعة التالية لمحمد صالح ومضان وهي من قصيدة وطنية يصف فيها مصرع مواطنين برصاص الشرطة الاستعمار أثناء مظاهر وطنية قامت ببسكرة، يقول:

تضوع مسكا في الجزائر كلها دم طاهر من مسلمين تخرما

وأربعة جرحى جراحا مضرة كلومهم تجري إلى الأن بالدما[1]

(1) ينظر: أحمد شرفي الرفاعي: الشعر الوطني الجزائري، ص:238- 239.

فالموضوع الذي نضم فيه الشاعر قصيدته يمثل حادثة سياسية ووطنية وقعت بالفعل، والشاعر يشيد بالدم على أنه مظهر للتضحية.

4- أمثلة عن بعض الأشعار الثورية:

يقول "رمضان حمود":

ألا يا رجال الشعب! ويحكم هبّوا! فقد عمت البلوى كما استفحل الحَطبُ

أفيقوا فلا عيش يطيب لراقد وصونوا لنا مجدًا ليفتخر الشعب

ألا خففوا عنّا خطوبا جسيمة فإن طالت الأيّام لا ينفع الطّبُّ

فجدّوا وكدّوا كي تنالوا مُنَاكم وبالحزم والإقدام يستسهل الصَّعبُ[1]

فهذه الدعوة التي يطلقها الشاعر أملاً في إحياء هذه النفوس الخامدة التي ارتضت حياة الذل والعبودية، يعدد أمجاد الماضي لعلها تكون حافزًا لهؤلاء تذكرهم لعل الذكر يحيي مثل هؤلاء الموتى فتبعثهم من جديد وتشعل في نفوس الحيّة التي خبت طوال سنين الاستعمار المرير.

يقول "محمد العيد آل خليفة":

الأسر طال بكم فطال عناؤكم فكوا القيود وحطوا الأغلالا

والشعب ضح من المظالم فانشدوا حرية تحميه واستقلالا

لا أمن إلا في ظل مرفوف حرٌ لنا عال ينير هلالا

من فوق جند بالعتيد من القوى يلقى العدو ويصمد استبسالا[2]

(1) محمد الهادي بوطارن: رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ط2، الملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع، الحراش، الجزائر، 2007، ص:100.

(2) محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010، ص:160.

فمجد "العيد آل خليفة" هنا يدعو بقوة إلى نبذ الأغلال وإلى تحقيق الحرية.

ويقول أيضًا:

فلنثر ثورة على الظّلم بمدى ولنحطم سلاسل الأقياد

ولنقم من رقادنا فهو عارٌ هل يفيدُ الرقادُ غير الكساد

ولنصح صيحة اللبؤات في الغاب لنحظى بحُرمة الأسياد[1].

ففي هذا الموضع يدعو بنات الجزائر إلى الثورة والكفاح وهذا من أجل تحطيم قيود الاستعمار.

يقول "أحمد سحنون":

آن أن يهجر الكرى الأحرار ويثوروا لحقهم ويغاروا

آن أن تحطم القيود بلا ذل فيها ابنها وعز الجار[2]

فالشاعر هنا يدعو إلى الثورة على الاستعمار وتحطيم القيود، ويرفض السيطرة الأجنبية المذلة للشعب الجزائري.

ويقول أيضًا:

روح باديس في دمائك ضجت ففيم الونى، وفيم القرار؟

ثر على القيد في الحياة فقد ثار عليه آباؤك الأحرار

لا تخف واشيا ولا كيد باغ إنّ الخوف في الشعوب بوار

قم فما في الوجود غير فتى الضاد ومن كاده طواه الدمار

إن ما شاده الهدى أبدًا يبقى وما شاده الهوى ينهار

(1) محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، ص:392.

(2) أحمد سحنون: ديوان أحمد سحنون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص:45.

جاهد الجهل والتفرق والجبن وعقبى جهادك الانتصار[1]

ففي هذه المقطوعة نجد أنّ روح ابن باديس في ضمير الشاعر ثورة وحرية، والاحتفال بابن باديس والوفاء لروحه لن يكون له معنى إلاّ بالثورة على المستعمر وتخطي الخوف والعزم على الانتصار.

ويقول "أحمد سحنون" في قصيدته "إنّ الجزائر تشكو":

إن "الجزائر" تشكو لكم بدون لسان!

نشكو لكم ما تلاقي! من ذلّة وهوان

تشكو اغتصاب حقوق تشكو ضياع أمان

فلتنجدوها لتحيى كسائر البلدان!

بأن تردُّوا إليها! ما ضاع منذ زمان

وأن تربوا بنيها! فهم مناط الأماني

وتطلبوا كل حق! لها بكل لسان!

وتنصروا كل ساع وتزجروا كل وانْ

وأن تمدّوا الأيادي بالخير والإحسان

وأن تكونوا جميعا في الخطب كالبنيان

إلى أن يقول:

فاستيقظوا واستعدوا يا معشر الشّبّانْ

فخدمة الشّعب فرض على بني الإنسان[2]

(1) المرجع نفسه، ص:45.

(2) أحمد سحنون: ديوان الشيخ أحمد سحنون، ط2، متيجة للطباعة، الجزائر، 2007، ص:98.

ويقول أيضا في قصيدته "واصل كفاحك":

واصـل كفاحـك وادأب يا أيـها الشعب الأبـي

واجمع جهـودك كلهـا لتعيـد دولــة "يعـرب"!

وتصدّ لليــوم العظيـم بيقظـــــة وترقـــب!

طهر صفوفك من جبان خائر ومذبذب

مـن الـذي يدعـو إلـى حزبّيـــــة وتعصـب!

لا تقتحـم نـار الوغــى إلاّ بكـــل مجــرب!

مـن كـل سبــاق إلــى خوض الغمــار مدرب

كـل الشعـوب تحـررت وسمت سُمـوَ الكوكـب

وأراك في ركب الحياة تسيـر خلـف المركـب![1]

يقول "محمد العيد الجبّاري":

إلاَمَ الصّمــت يا قومي إلام يــا بنـــي أمّـــي

أَلَيسـت دولـــة الظلـم لهـا الخيبـاتُ تجنيهـا

ألا هبـوا إلـى الفخـــر وضحّوا يا بني القُطر

فللأوطـان فـي العُسـر ضحايـا مـن محبيهـا[2]

فهو في هذه المقاطع يحرض على الثورة وعلى الخروج من الصمت وينبه إلى مظالم المستعمر.

(1) أحمد سحنون: ديوان الشيخ أحمد سحنون، ص:118.

(2) محمد صالح الجبّاري: الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، 2005، ص:77.

ثانيًا: مفهـــــوم الالتــزام:

أ- لغـــــــة:

مشتق من الفعل "لَزِم"، يقال: لزم الشيء يلزمه لَزْمًا ولُزومًا ولازمةً مُلازمة ولزامًا وألزمه إياه فألتزمه، ورجل لُزَمة يلزَم الشيء فلا يفارقه واللزِّام المُلازمة للشيء والدوام عليه[1]، ولزم غريمه لَزْمًا، وألْزَمتْ خصمي إدا حججته والتزم الأمر في المجاز: الالتزام: الاعتناق[2].

ويقال لازم الغريم: تعلق به، "التزم" الشيء أو الأمر: أوجبه على نفسه، واللازمة: في الهندسة، والمُلازِمُ: رتبة في الجيش أو الشرطة، و"اللُزمة". يقال: رجل لُزَمة: يَلزم الشيء فلا يفارقه[3].

وقد وردت كلمة الالتزام في عدد من آيات القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ وألزمتهم كلمة التقوى وكانوا أحقّ بها وأهلها﴾[4] وقوله أيضا: ﴿ فقد كذبتم فسوف يكون لزاما﴾[5].

ب- اصطلاحـــــا:

« هو أن يتقيد الأدباء وأرباب الفنون فيلا أعمالهم الفنية بمبادئ خاصة وأفكار معينة، يلتزمون بالتعبير عنها، والدعوة إليها، ويقربونها إلى عقول جماهير النّاس، ويحببونها إلى قلوبهم.

والأديب بهذا المعنى صاحب رسالة في التنبيه، والشرح والتوجيه لا يسمح لشاعريته أن تحيد عنها، ولا لقلمه أن يتجاوزها، أو هو في الأقل مشارك لأصحاب تلك المبادئ والدعوات

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة "لزم"، ج12، ص:263.

(2) أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، ج2، ص:168.

(3) شعبان عبد العاطي عطية، وآخرون: معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص:823.

(4) سورة الفتح، الآية:26.

(5) سورة الفرقان، الآية:77.

الإصلاحية في نشر دعواتهم والتمكين لها في القلوب والعقول، حتى لا يحس النّاس غيرها، ولا يسمعون إلاّ أصداءها وإذا قيد الأديب نفسه تلك الأهداف، وقصر إنتاجه عليها فهو "الأديب الملتزم"، أما الأديب الذي لا يتقيد بتلك الأهداف بل يعبر عن ذاتيته وعن تجاربه وعواطفه وانفعالاته، متحررًا من سائر القيود التي تحد من حريته في التعبير عن مشاعره فهو عندهم أديب غير ملتزم»[1].

« ففكرة الالتزام في الأدب فكرة حديثة، هي وليدة عصرنا ولم يعرفها النظر النقدي في العصور الماضية، والمصطلح نفسه ـ أعني الالتزام- مصطلح جديد في ميدان الأدب، لم يستخدمه الأقدمون ولم يعرفوه، والواقع أنّ مفهوم الالتزام قد ارتبط إلى حد بعيد بمفهوم الأدب نفسه ومدى علاقته بالحياة، وبالدور الذي يقوم به الأدب في توجيه هذه الحياة، والحديث عن العلاقة بين الأدب والحياة هي العبارة المأثورة عن الناقد والشاعر الإنجليزي "كولردج"، التي يقرر فيها أنّ الأدب نقد للحياة، فالنقد يقتضي أولاً الفهم، ومن ثم صار الأديب مطالبًا بأن يتفهم الحياة قبل أن يكتب ما يكتب، وهو لن يستطيع تفهمها إلا من خلال تجربته فيها ومعاناته الصميمة، وانخراطه في هذه التجربة وهذه المعاناة إلى أبعد مدى، حتى يدرك وقائع الحياة وتفصيلاتها»[2].

« ربما كان الزعم بأنّ فكرة الالتزام في الأدب فكرة حديثة، وهي وليدة عصرنا ولم يعرفها النظر النقدي القديم في العصور الماضية، ولكن هذا الزعم يفتقر إلى الدقة، فالنظر إلى الفن كتابع من توابع الأنظمة الاجتماعية أو الدينية ليست نظرة جديدة، لأنّ تاريخ الأدب يستطيع أن ينبئنا أنّ كلمة الفن الهادفة لم تولد مع الماركسية أو الوجودية التي نادى بها ماركس وسارتر، بل ترجع جذورها إلى أفلاطون وأرسطو»[3].

من هنا يمكن القول بأنّ فكرة الالتزام، هي ليست اكتشاف جديد ومعاصر في الأدب، وإنما يرجعها بعض النقاد إلى الأدب اليوناني مع أفلاطون وأرسطو، وهذا من خلال

(1) بدوي طبانة : قضايا النقد الأدبي، (د.ط)، دار المريخ للنشر، ، الرياض، 1984، ص:15.

(2) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط5، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1994، ص:221.

(3) ظاهر محسن جاسم: ظاهرة التزام الشاعر في الأدب الإسلامي، مجلة ينابيع، العدد25، رجب، شعبان1429هـ، ص:01.

ما يخبرنا به التاريخ الذي يعتبر عين الحقيقة وجوهرها، بأنّ كلمة الفن الهادف لم تكن وليدة الماركسيين والوجوديين، فالفن متعلق بالأبنية الاجتماعية وقضايا المجتمع وهذا للتعبير عن أحداث المجتمعات، من مختلف أطواره السياسية والاجتماعية وحتى الدينية، فبعض الدارسين يرون أنّ نشوء الفن كان صادرًا عن العقيدة الدينية. « ويرجع بعض الدارسين أنّ الفن نشأ في أحضان العقيدة الدينية، وليس هناك فنان معروف لم يصدر عن عقيدة، والعقيدة هي التعبير عما نسميه اليوم بالأيديولوجية، فالأيديولوجية عقيدة وكل ما في الأمر أنّ كلمة عقيدة ارتبطت في أذهاننا خلال التاريخ بالعقيدة الدينية... والالتزام في مفهومه الحديث هو اتخاذ موقف في النزاعات السياسية والاجتماعية، معبرًا عن أيديولوجية طبقة ما أو حزب أو نزعة أي عقيدتهم، وهدف الالتزام إسهام الأديب في حل مشاكل المجتمع»[1].

فالالتزام في مفهومنا الحديث هو إبداء رأي حول الصراعات والنزاعات سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو دينية، بين مجموعة من الأفراد أو المجتمعات، وكذا التعبير عن عقائدهم والدفاع عنها. ومن هنا يأتي دور الأديب أو الفنان، في حل هده النزاعات والمشاكل داخل المجتمعات، وهذا من خلال عقيدته، فإن كانت عقيدته إسلامية فالإسلام يمده بالقوة ويدفعه إلى الثورة على الأفكار الفاسدة والواقع المنحرف ومحاربته، « والدين الإسلامي عقيدة راسخة هدفها سعادة الناس في الدارين، وحل مشاكلهم وتوجيهم لكل خير وإذا كان شأن الأديب الملتزم أن يكشف كل هذه الخيرات وينقلها إلى الآخرين فإنه ينطلق من عقيدته، وإذا كانت عقيدة الأديب إسلامية، فإن الإسلام سوف يدفعه من الصميم نحو محاربة الواقع الفاسد... إنّ الإسلام عقيدة تحتوي على الالتزام تعاليم دينية هدفها الخير، فالإسلام يلتقي مع الالتزام في خدمة المجتمع ولكن بأسس سليمة، فالإسلام ينهى عن شر الأفكار الفاسدة والمنحرفة والعقائد الإلحادية المثيرة للفتنة بين المسلمين أو للشهوات المحرمة في النفس»[2].

1- الالتزام من منظور الاتجاهات الغربية:

تعد قضية الالتزام من القضايا الشائكة والتي ما تزال تتجاذب الآداب الغربية كلٌ بحسب معتقداته وتوجهاته الفكرية والإيديولوجية وكذا الفنية. مما خلق نوعًا من الاختلاف في

(1) ظاهر محسن جاسم: ظاهرة التزام الشاعر في الأدب الإسلامي، ص:01.

(2) المرجع نفسه، ص:01.

تحديد الوظيفة الأساس للأدب والمتمثلة في القدرة على تلمس وتصوير قضايا واقعية مجتمعية دون أن تحدث نقصًا في قيمته الفنية الجمالية، وهو ما أدى بالضرورة إلى ظهور جملة من الاتجاهات النقدية أهمها:

1-1- الالتزام في الواقعية الاشتراكية:

احتل استعمال هذه الكلمة في هذا المعنى منزلته بظهور ذلك المذهب المعروف، بمذهب "الواقعية الاشتراكية"، الذي برز في هذا الزمان وبرزت معه الدعوة إلى الالتزام وهي من تعاليم تلك الواقعية الاشتراكية.

كما عبّر عنها قرار النخبة المركزية للحزب الشيوعي، وفي ذلك القرارات الواقعية الاشتراكية تعتمد على التقاليد الواقعية، وتجعل أساس الابتكار الفني في إدراك الفنان للحقيقة الموضوعية لا الخيالية الذاتية الشخصية ويوجب ذلك القرار على الكتاب السوفييت. « الكتاب السوفييت يهتدوا في عملهم الإبداعي بخطة الحزب البلشفي، والدولة السوفيتية، لأن هذا هو مصدر قوة الواقعية الاشتراكية، إذ هو يتيح للكتاب فرصة فهم الحقيقة، ويفتح أمام الكاتب مجال الاشتراك بعمله الأدبي في بناء الحياة الجديدة، ويوحي إليه بهذا كله مدى تشبعه بالمبادئ الشيوعية»[1].

فمن هنا نرى أنّ الكتّاب السوفييت لا يخرجوا في عملهم الأدبي والإبداعي،عن سياسة الحزب البلشفي ونظام الدولة السوفيتية ، فهم يعتبرون أنّ هذا الالتزام هو منبع قوة الاتجاه الواقعي الاشتراكي، كما يفتح للأديب مجالاً للمساهمة في خلق الحياة الجديدة، كما أنّ دعوة الواقعية الاشتراكية إلى الالتزام في الآداب والفنون هي دعوة سياسية في حقيقتها. « على الكتاب أن يجعلوا إنتاجهم الأدبي متوخيًا نشر الفكرة الشيوعية، وتعليم الشباب مبادئ الشيوعية، لأنّ الإخلاص للشيوعية والأخذ بتوجيه الحزب الشيوعي، وخدمة الاشتراكية هي الشروط التي لا بد من توافرها في كل كاتب يريد أن يسير إنتاجه الأدبي على نهج الواقعية الاشتراكية»[2].

(1) بدوي طبانة: قضايا النقد الأدبي، ص:17.

(2) المرجع نفسه، ص:17.

ولذلك نقول أن التزام في الواقعية الاشتراكية مشروط بكل ما يراه الحزب الشيوعي.

1-2- الالتزام عند الوجوديين:

الوجوديون أيضًا من دعاء الالتزام، فهم يفرقون في الالتزام بين الأدب وسائر الفنون فقد نَفَو فكرة الالتزام في الرسم والنحت والموسيقى إي أنّ هذه الفنون ليس فيها التزام.

فالوجوديون يفرقون بين الشعر والنثر من ناحية الالتزام، فيرون أن « الكتابة النثرية هي مجال الالتزام، لأن ميدان المعاني إنما هو النثر، أما الشعر فلا يوجبون الالتزام فيه، ويعدونه من باب الرسم والنحت والموسيقى، ويوافقون القائلين باستحالة جعل الشعر إلزاميًا»[1].

« فمن السخافة أن نطالب بالتزام شعري، فلا شك في أنّ الانفعال والعاطفة العنيفة ـ وكذلك الغضب والسخط الاجتماعي والكراهية السياسية ـ هي مصدر كل قصيدة، ولكنها لا تعبّر عن نفسها، كما في المقالة الهجائية أو في الاعتراف، وأنّ الناثر كلما عرض عواطف ما يوضحها، أما الشاعر فهو على النقيض من ذلك»[2].

والمقصود هنا أن الالتزام يكون في مجال النثر، فالنثر أقدر من الشاعر في التخلي على عواطفه أثناء الكتابة، النثر يقوم على النفعية إذ يمكن استخدمه كوسيلة للتعبير عن مواقف معينة من أجل التغبير على عكس الشعر الذي يطغى عليه الخيال، وبذلك يبتعد الشعر عن عالم الواقع.

« يعتبر الوجوديون أنّ القيمة الفنية للشعر تقوم أساسًا على القيمة الخيالية بعيدًا عن أيّ نوع من الوعظ والإرشاد»[3].

(1) بدوي طبانة: قضايا النقد الأدبي، ص:17.

(2) نصرت صالح عبد الرحمن: في النقد الحديث.دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية، ط1، دار جهينة، عمان، الأردن، 2007، ص:184.

(3) بدوي طبانة: قضايا النقد الأدبي، ص:17.

« كان سارتر يدافع الالتزام في الأدب والفن، فهي القضية التي حشد لها فكرهُ منذ زمن طويل، وبالرغم من أنّ هذه القضية بالذات لا تتميز عند سارتر بوضوح كافٍ، فإنه استثنى "الشعر" من قيودها قائلاً إنه قد يكون مبعث القطعة الشعرية الانفعال أو العاطفة نفسها، ولم لا يكون مبعثها كذلك الغضب الاجتماعي والحفيظة السياسية؟ ولكن كل هذه الدوافع لا تتضح دلالتها في الشعر كما تتضح في رسالة هجاء أو رسالة اعتراف.

فالناثر يجلو عواطفه حين يعرضها، أما الشعر فإنه – بعد أن يصب عواطفه في شعره– ينقطع عهده بمعرفتها، إذ تكون الكلمات قد سيطرت عليها ونفدت خلالها وألبستها أثوابًا مجازية. فلم تعد الكلمات تدل عليها حتى في نظر الشاعر نفسه، فقد أصبح الانفعال شيئًا له كثافة الأشياء، وبدت عليه مسحة الغموض، إذ اكتسب الخصائص الغامضة للألفاظ التي صار حبيسها»[1].

2- الالتــزام والثــورة:

إنّ الثورة التاريخية المعروفة إنما قامت حقًا على أساس من التمرد الرافض، التمرد الذي يرفض الظلم وينشد العدالة "المطلقة" راحت تحول دون فعل التمرد الخلاق الذي كان أصلاً لها، هنا يتمثل التناقض بين الثورة والتمرد.

وقد تجنبت ثورتنا العربية الوقوع في هذا التناقض، فقد التزمت منذ اللحظة الأولى حد الاعتدال المميز لفعل التمرد المستمر الخلاق، حيث يتضح في مبادئها الستة التي قامت عليها أن ترفض وتؤكد في وقت واحد، بل هي تؤكد بمقدار ما ترفض، ترفض وجودها من الظلم والسيطرة والتحكم بمقدار ما تؤكد وجوهًا من الحق والعدالة، إنها تهدم بمقدار ما تبني.

إنّ ثورتنا تجربة ممتدة. وفي إطار التجربة يمارس الإنسان فعل التمرد، ولما كان الشاعر من أكثر النّاس انهماكًا في التجربة ووعيًا بها فإنه يمارس فعل التمرد الذي يؤكد به حق الثورة في الاستمرار، حتى تحقق "الوحدة الإنسانية السعيدة المؤتلفة"، وقد عبر "البياتي" في حديثه عن تجربته الشعرية عن هذا الموقف، مؤكدًا وعي الشاعر المعاصر بمغزى فعل التمرد وعلاقته بالثورة، فقال: ولقد يمكن أن ننظر إلى التمرد كحلقة أولى في العملية الثورية

(1) غالي شكري: شعرنا الحديث إلى أين، (د.ط)، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1991، ص:162.

بالنسبة للفرد أو المجتمع، ولكن التمرد لا يكن منطقيًا ولا يكون إنسانيًا إن لم تكمله الثورة، والتمرد بعد أن تكتمل الثورة إنما يكون تمردًا ضدها. في حين أن التمرد ضد الواقع القديم بالنسبة إلى الشعر عملية ديمومة للتمرد وتطوير له، وهي عملية تتجاوز رفض الواقع إلى محاولة تقويضه وبناء واقع جديد، وهكذا كانت الثورة بالنسبة لي تمردًا دائمًا حتى تكتمل، ومن ثم تصبح الثورة دفاعًا عن كيانها للمحافظة على روحها الخالقة[1].

وقد كانت الظواهر الاجتماعية بمختلف أشكالها الهاجس الذي لا يفارق وعي المفكرين، وفكر الأدباء، وأحاسيس الشعراء. وخير مثال على ذلك الشعر الفلسطيني الذي كان جل إنتاجه الأدبية منصبًا في معالجة أحداث واقعه المأساوي والمزري.

« إن انشغال الشعر الفلسطيني بالواقع السياسي، ومواكبة تطورات القضية وأبعادها منذ الانتداب البريطاني حتى اللحظة لم يحل دون اهتمام الشعراء بالقضايا الاجتماعية وما الأخيرة إلاّ إفراز طبيعي لتردي الأوضاع السياسية، فقد عاش الشعب الفلسطيني أوضاعًا مأساويةً تفوق التصور، فمن فقر مدقع وحرمان مروّع إلى تشرد ولجوء وتقطع أوصال النسيج الاجتماعي، هذه الصورة الكادحة جعلت الشعراء أكثر اقترابًا والتزامًا بهموم وقضايا المجتمع»[2].

فالشعر الفلسطيني كان أكثر قربًا من تصوير الحياة الاجتماعية المأساوية، التي عاشها الشعب الفلسطيني من الفقر والجوع والتشرد، فأتيحت للشعراء فرصة التعبير عن هذه الحالة من خلال التزام شعرهم بالقضية الفلسطينية، وهموم وأوضاع المجتمع الفلسطيني، كما أنه أحاط بكل الجوانب الحياتية فيه حتى ترك هذا الشعر بصمته الواضحة.

« إن ما يمّيز الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر في معالجته لتلك القضايا أنه يستمد رؤيته من مفاهيم الإسلام، لذا جاءت مفردات لغته وخطابه ينسجم معها، وتترك أثرًا ايجابيًا نحو تغيير الواقع، وهذه مهمة الفن الهادف والملتزم... دأب الشعر الفلسطيني

(1) ينظر: عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص:352- 353.

(2) جواد إسماعيل عبد الله الهيثم: الالتزام في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر، رسالة الماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2010- 2011، ص:68.

المعاصر عبر قراءته الملتزمة وتصويره الدقيق لقضايا المجتمع على إتباع المنهج القرآني ترغيبًا وترهيبًا، وعدًا ووعيدًا، فاتحًا باب الأمل»[1].

« أما الأدب الجزائري فقد كان ملتزمًا إلى أبعد الحدود بالقضايا والمضامين الوطنية والقومية، متناولاً إياها بأسلوب جدي صارم، إذ حقق بذلك مستوى فنيًا إبداعيًا، ومن أمثال أولئك الشعراء الجزائريين المجيدين وعلى رأسهم: محمد العيد آل خليفة ومفدي زكريا»[2].

وبذلك يمكننا القول أن الأدب الجزائري أكثر الآداب التزامًا بالوطنية والقومية وقضاياها، المتمثلة في الكفاح مثلاً والدعوة إلى الثورة، وهذا ما يُعرف بالشعر الثوري أو الوطني الذي يبث روح الشجاعة في نفس الشعب والثوار خاصة وهذا من أجل التخلص من القمع والظلم والاستبداد.

فمن خلال هذا الأسلوب الفني حقق الأدب الجزائري مستوى إبداعي لم يسبق له مثيل، ومن رواد هذا الإبداع "محمد العيد آل خليفة" ومفدي زكريا"؛ إذ « كان أدبنا ملتزمًا واقعيًا هدفه الدائم الوصول إلى المستوى العالي في الحقل الأدبي العربي الحديث، فإن الأدب لمن أفضل ما قد تعتمد عليه بلادنا الثائرة في بناء المستقبل وتحقيق ما تصبوا إليه من عزٍ ورخاءٍ وازدهار»[3].

وعليه فإن أدبنا الجزائري ظل على الدوام ملتزمًا بقضايا واقعية وإنسانية عاشتها الجزائر أثناء الفترات العصيبة، حيث نجده يصور هاته القضايا في قالبٍ أو أسلوبٍ فني إبداعي رائع الجمال.

(1) المرجع نفسه، ص:68.

(2) يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص:37.

(3) محمد الطّمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص:390.

الفصل الثاني

وألا: النفس الملحمي البطولي:

الملحمة من الفنون السردية، وهي: « قصيدة شعرية طويلة تدور أحداثها حول معارك ضخمة، وبطولات خارقة خاضها شعب من أجل قضية تتصل بوجوده الإنساني والقومي دفاعًا عن مأثوراته ومقدساته العريقة، وهي إذ تصف المعارك والبطولات تصور عصرًا بكامله من عصور هذا الشعب، وما يعيش فيه من تقاليد، ويسعى إليه من مثل، ويتبناه من مفاهيم ومعتقدات وأفكار »[1].

والمعنى هنا أنّ الملحمة هي قصة شعرية طويلة، تعتمد أحداثها على أعمال بطولية لشعب من الشعوب أو أمة من الأمم، بالإضافة إلى كونه سجلاً تارخيًا فريدًا من نوعه لهذا الشعب؛ فهي تعكس لنا جانبًا كبيرًا من الثقافة السائدة وأنماط التفكير والاعتقادات والمفاهيم التي تؤمن بها هذه الأمة.

وهناك الكثير من الملاحم العالمية القديمة كملحمة "قلقامش" و"المها بهارتا" و"هيسيو" و"الإنياذة" وملحمة "الإلياذة"، وهذه الملحمة الأخيرة قد سميت بهذا الاسم نسبة إلى « مدينة إليون، وهي مدينة طروادية (تركيا حاليًا) التي حاصرها اليونانيون، حوالي 1200 ق.م، والإلياذة قصة شعرية تناولت موضوعًا واحدًا؛ وهو غضب "أخيل" وانسحابه من الحرب. وقد قامت هذه الحرب بين اليونان والطرواد، كما ورد في كتب التاريخ، لسبب واحد هو فك العزلة والحصار الذي فرضه الطرواد على بلاد اليونان، وبحرق مدينة طروادة تحرر اليونان من قيود الطرواديين»[2]، لكن سبب قيام هذه الحرب عند الشاعر "هوميروس" يختلف عن كتب التاريخ، إذ يرجعها إلى « اختطاف "باريس" ـ ملك طروادة ـ لـ "هلانة" زوجة

(1) يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص:149.

(2) صالح المباركية: الآداب الأجنبية القديمة والأوروبية، (د.ط)، دار قانة للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، 2007، ص:49.

ملك اليونان، وبدأت محنة الحرب، إذ استصرخ الملك "أجاممنون" وأبطال اليونان من أمثال "أخيل"، فلبوه غاضبين»[1].

هذا بالنسبة "للإلياذة" عند "هوميروس" أما "الإلياذة" عند شاعر الثورة الجزائري "مفدي زكريا" فتختلف عن الإلياذة الأولى في الكثير من الأمور من بينها:

* أنّ إلياذة "هوميروس" كان للآلهة الدور الأساسي في الأحداث وتطورها؛ إذ تجتمع الآلهة في إحدى المعابد بدعوة من كبير الآلهة، ونتيجة هذا الاجتماع تنقسم الآلهة إلى قسمين: « "هيرا" و "أثينا" مع اليونان و"أفروديت" و"أبولو" مع الطرواد»[2].

ونجد "أفلاطون" يحمل "هوميروس" تبعات توظيفه المشين للآلهة، لذلك نجده يمنع تداول أشعار "هوميروس" لأنها تخلف رواسب سلبية على الأطفال، لأنهم لا يميزون بين الحقيقة والخيال، إذ يقول: « إنّ الآلهة التي رواها "هوميروس" يجب حضرها ولو صاغها في قالب مجازي، لأن الأطفال لا يميزون بين الحقيقة والمجاز، مما يجعل سخريته من الآلهة يترسخ في أذهانهم، وهذا ما لا يتلاءم مع الغاية السامية في تنشئة الأجيال وتربيتهم على الفضيلة والأخلاق»[3].

أما إلياذة "مفدي" فلا وجود للآلهة ولا المعابد، وإنما هناك حضور للدين الإسلامي القائم على وحدانية الله عز وجل، وهذا ما نجده مجسدًا في المقطع الأول من "الإلياذة"، عندما يصف جمال الطبيعة الجزائرية، فهي حجة لله أو دليل وجوده.

جزائـر يـا مطلـع المعجـزات ويا حجة الله فـي الكائنـات

(1) شوقي ضيف: البطولة في الشعر العربي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص:09.

(2) صالح المباركية: الآداب الأجنبية القديمة والأوروبية، ص:51.

(3) قصي الحسين: النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وإعلامه، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2003، ص:255.

ويا بسمـــــة الربّ فـي أرضــه ويا وجهه الضاحك القسمـــات[1]

ثم يتحدث في المقطوعة الثانية عن قدرة الله عز وجل وقوة صنعه للجزائر:

جزائــر يــا بدعـــة الفاطـــر ويا روعـــة الصــانع القـــادر[2]

وقد كان لهذه الطبيعة الدور الكبير في اهتدائه إلى الله عز وجل:

فلـولا جمالــك مــا صحّ دينــي وما أن عرفت الطريق لربي...![3]

ويتحدث الشاعر أيضًا عن الدين أيام الفتوحات الإسلامية، إذ قلب الحياة رأسًا على عقب؛ حيث حارب شرب الخمر، والظلم، والجبروت، وأحيا المرأة من موتها:

أولئــك آباؤهـــا، منــذ عيســى وكــان محمـدًا صهـرًا لعيســى

ولاح الصبــاح، فهـز السكــارى وأجلــى الندامـى، ورض الكؤوسا

وأيقـظ حلـــم الليــالي الحبالــى وأسـرج فــي الكائنـــات الشموسا

وأهوى علــى البغي، يذروا الجذو ع، ويغرس في الجبروت الفؤوسا

وحـــذر آدم ظـــلم أخيـــه وسوى الحظـوظ وأعلـى الرؤوسا

وأخــرج حــواء مـن رمسهـــا فألهمت الروح هــذي الرموســا

لئـن حارب الـــدين خبث النفوس، فلم يغمـط الدين هـــذي النفوســا[4]

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص:19.
(2) المصدر نفسه، ص:20.
(3) المصدر نفسه، ص:21.
(4) المصدر نفسه، ص:42.

ثم يتناول ثورة نوفمبر، والتي لم تقم إلا بمشيئة الله وإذنه، وعندما تجتمع مشيئة الله وإرادة الشعب يعلن الشعب استعداده لتنفيذ مشيئة الله، فيقول:

تـــأذن ربـــك ليلـــة قـــــــدر وألقـــى الستـار على ألـف شهـر

وقـال لـــه الشعب: أمرك ربـــي! وقـــال لـــه الربّ: أمرك أمري!![1]

ففي هذين البيتين نلاحظ أنه هناك حوار بين الله والشعب حول اندلاع ثورة نوفمبر والتي كان منطلقها ديني بالدرجة الأولى.

ويقول أيضًا:

شربت العقيـدة، حتـى الثمالـــة فأسلمت وجهـي لـربّ الجلالـــة

ولـــــولا الوفـــاء لإسلامنـــــا لمـــا قرّر الشعب يومًـــا منالـــه

ولـــــولا استقامـــة أخلاقنـــــا لما أخلص الشعب يومًا نضالـه

ولـــــولا تحالـــف شعبٍ، وربّ لما حقق الربّ يومًـــــا سؤالـــه

هـــو الـــذي يغمـــر أرواحنـــا بنور اليقيـــن، ويرسى عدالـــه

إذا الشعب أخلـــف عهـد الإلـــه، وخـــان العقيـــدة، فارقـــب زوالـــــه[2]

يتناول الشاعر في هذه الأبيات العوامل التي أدت إلى نجاح الثورة، إذ نجد العامل الأساسي في نجاحها هو الوفاء للدين والعقيدة الإسلامية.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:69.

(2) المصدر نفسه، ص:89.

إنّ «"الإلياذة الهوميرية" تستوحي أحداثها من الأساطير والحكايات اليونانية، والخرافات الشعبية التي تسيطر على عقلية الفرد اليوناني، كما أنّ البطولة فيها « بطولة أسطورية تتصل بأبطال وآلهة أسطوريين»[1].

أما "الإلياذة الجزائرية" فتبتعد كل الابتعاد عن الأسطورة والخرافة، بل هي استحضار فعلي للوقائع والأحداث الحقيقية المعروفة لدى العام والخاص، بالإضافة إلى البطولات التي كانت من خلق الإنسان الجزائري.

لذلك نجد "أفلاطون" يحث الأجيال على الشجاعة والشهامة والبطولة، وعدم الخوف من عواقبها « ويرى أفلاطون ضرورة تنشئة الأجيال على الشجاعة والبطولة وعدم الخوف من الموت، وهذا يستدعي من الدولة مراقبة الأشعار التي تجعل المخاوف تستولي على ألباب الشباب»[2]، لذلك نجد "الإلياذة" مقسمة إلى قسمين؛ القسم الأول يمثل واقع الطبيعة الجزائرية، أما القسم الثاني فيمثل البطولات المقدمة من طرف أبناء الجزائر.

القسم الأول: يمثل واقع وجمال الطبيعة الجزائرية، أو بعبارة أخرى الخلق والإبداع الإلهي لأرض الجزائر، لذلك نجد الشاعر يتغنى بالبلاد الجزائرية جزءً جزءً، وموطنًا موطنًا من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عظمة الخلق في هذه الربوع الجميلة، والطبيعة البديعة.

« إنّ الطبيعة عنده ليست هدفًا يقف عنده، وإنما يتخذها وسيلة لغاية أخرى تتعدى حدود المتعة بالجمال... فهي عند مفدي ليست رومانسية ولا حالمة تغري بالإخلاد إليها

(1) شوقي ضيف: البطولة في الشعر العربي، ص:10.

(2) قصي الحسين: النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وإعلامه، ص:255.

والتمرغ في أحضانها، وإنما هي طبيعة ثائرة شأن الإنسان الجزائري، وكأنها لم تخلق إلاّ لتقوم بوظيفتها في المقاومة والكفاح»[1].

والمعنى أن "مفدي" لا يستخدم الطبيعة الجزائرية في إلياذته من أجل المتعة الجمالية، بل إنّ هذا التوظيف يخفي من ورائه ثورية هذه الطبيعة ووفائها للإنسان الجزائري أثناء الثورة، وكأنها لم تخلق إلاّ لتؤدي وظيفة واحدة وهي المقاومة والنضال.

فالشاعر في بداية "الإلياذة" يصوّر لنا الجزائر بأنها مطلع المعجزات، وحجة الله، وأنها بسمة، ولوحة في سجل الخلود، كأنه يفتخر بهذه البلاد الحالمة بالمستقبل القادم، حيث يقول:

جزائـر يـا مطلـع المعجـزات ويا حجة الله فـي الكائنـات

ويا بسمة الربّ فـي أرضـه ويا وجهه الضاحك القسمات

ويا لـوحة فـي سجل الوجـود تمـوج بهـا الصور الحالمات[2]

وفي نفس المقطوعة يواصل الشاعر حديثه عن الجزائر، وعن عظمة هذا الإبداع الجميل لتربتها وتضاريسها، فكل هذا الصفات الحسنة فيها، أدت إلى تكالب الغزاة على احتلال هذه الأرض المعطاءة السخية، حيث يقول:

ويا قصة بثـا فيهـا الوجـود معاني السمـو بروح الحيـاة

ويا تربة تـاه فيهـا الجـلال فتاهت بهـا القمم الشامخـات

وأهوى على قدميهـا الزمـان فأهوى على قدميهـا الطغـاة[3]

وفي موضع أخر يقول:

(1) يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص:150.

(2) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:19.

(3) المصدر نفسه، ص:19.

جزائـــر يـــا حكايـــة حبـــي ويا من حملت السلام لقلبـــي

ويا من سكبت الجمال بروحي ويا من أشعت الضياء بدربي[1]

فالشاعر في هذين البيتين يعترف اعترافًا صريحًا بغرامه وهيامه للجزائر، فحكاية حبه الحقيقية مخبأة في قلب الجزائر.

ويقول أيضًا:

فلولا جمالـك مـا صحّ ديني وما أن عرفت الطريق لربي...!

ولـولا العقيـدة تغمـر قلبـــي لمـــا كنت أومـــن بشعبـــــي!

إلى أن يقول:

وفـــي كـــل بشر لنـــا قصـــة مجنحـــة مـــن ســـلام وحـــرب[2]

فالشاعر هنا يشير إلى العلاقة بين الدين وجمال الطبيعة الجزائرية، فهذا الجمال هو الذي أوصل الشاعر إلى حقيقة ووحدانية الله عز وجل، وصحة عقيدته، فهذه العقيدة السلبية كانت سببًا في إيمانه بالنضال البطولي الذي قدمه هذا الشعب في هذه الأرض الجميلة، فكل بشر من هذه الأرض يروي قصة بطولة، هنا أو هناك ، في الشمال أو الجنوب، في الشرق أو الغرب.

جزائـــر أنت عروس الدنـــا ومنـك استمد الصبـاح السنـــآ

وأنت الجنـان الـــذي وعـــدوا وإن شغلونـــا بطيـــب المنـــى!

وأنت الحنـان، وأنت السّمـــا ح، وأنت الطِمـاح، وأنت الهنـــآ

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:19.

(2) المصدر نفسه، ص:21.

وأنت السّمــو وأنت الضميــر الصريــح الــذي لـم يخــن عهدنـــا

ومنـك استمـد البنـــاة البقـــاء، فكـــان الخلـــود أســـاس البنـــآ[1]

فمفدي يصف جمال الجزائر بحيث يشبهها بعروس الدنا، وهي منبع الحنان والسمو والهنا، فبناة الجزائر قد استمدوا بطولاتهم وانتصاراتهم منها.

وبعد أن تحدث الشاعر عن ربوع الجزائر بصفة عامة، ينتقل إلى التخصيص، فيبدأ حديثه بالجزائر "أم إفريقيا"، فيقول:

سل البحر والزورق المستهـا م كـأنّ مجاديفـه قلب شاعـــر!!

تباركـــــه أم إفريقيـــــا... على صلوات العذارى السواحـــر[2]

فمفدي يذكر مناطق الجزائر مكانًا مكانًا، فمن القبة إلى بلكور، إلى حيدرة، إلى القصبة فساحة الشهداء، والشاعر لا يذكر هذه المناطق من أجل الذكر وفقط، بل يذكرها لكي يبين لنا أن كل بقعة في الجزائر تخفي وراءها بطولة شعب، والانتصارات التي حققوها من يوم لأخر، وبعد هذه الجولة بمناطق الجزائر يتنقل إلى جبال الأطلس الشامخة.

سل الأطلس الفرد عن جرجرا تتعالـــى يشـدّ السمـــا بالثرى!

فيختـــال كبـــرا تنافســـه تقجـدا فـــلا يرجـــع قهقرى[3]

فمن الأطلس العظيم إلى جبال الأوراس مهد البطولة والنضال

وتسمـــو بأوراس أمجـــاده فتصدع فـي الكـون هـذا الورى[4]

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:22.
(2) المصدر نفسه، ص:23.
(3) المصدر نفسه، ص:24.
(4) المصدر نفسه، ص:24.

القسم الثاني: ويمثل المجد التاريخي للجزائر منذ العصر القديم حتى عصرنا هذا.

لقد استهل "مفدي زكريا" حديثه عن تاريخ الجزائر القديم "بماسينيسا"، وذكر الانتصارات التي حققها في زمانه على الرومان.

دعوا ما سينيسا يردد صدانا دروه يخلـــد زكـــى دمانـــا

وخلوا سفاكس يحكي لروما مدى الدهر كيف كسبنا الرهانا

وكيف غدا ظافرا ماسينيســـا بزامة لم يرض فيهـــا الهوانـــا

وكم ساوموه، فثـــار إبـــاء وأقسم أن لايعيـــش جبانـــا[1]

وقد اشتهرت الحروب التي قادها ماسينيسا باسم الحروب البونيقية، وقد وقف ضدّ قوتين عظيمتين هما: الرومان و"سفاكس" الحليف والموالي لروما، ورفض الخضوع لهما، وقرر أن يعيش بشرف وعزة نفس، فثار ضدهما، وفي الأخير استطاع التغلب والظفر عليهما.

وقد كانت زوجته "سوفونيزيا" تسانده في الصراء والضراء، فهي العالمة القرطاجية الفيلسوفة والموسيقارة، والتي كانت مصدر إلهامه، وتوفر له الإطمئنان والحب، فوراء كل رجل عظيم امرأة.

وألهمه الحب نيل المعـــــاني وقد كان ـ مثلي ـ يهوى الحسانا...

ومـــن صنعت روحـه سوفونيزيا جديـــر بـأن يتحـــدى الزمانـــا

تغديـه حبًـا وفنًـــا وعلمًـــــا وتنبيه مـــا قد يكون، وكانـــــا[2]

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:39.

(2) المصدر نفسه، ص:39.

وبنفس الطريقة يواصل الشاعر حديثه عن أمجاد وبطولات سلالة ماسينيسا.

فجـاء يوغرطـا علـــى هديـــه بحكم الجمـاهير يفشـي الأمانـا!!

وقـال مدينـــة رومـــا تُبـــا ع لمن يشتريها !! فهزّ الكيانـــا!!

ووحد سيرتا بأعطاف كـــــاف وأولـى الأمـــازيغ عـزًا وشأنـــا[1]

"فيوغرطا" قام ببناء مدينة "سيرتا" ونشر الأمان والاطمئنان فيها، وقد لا حظنا أنّ "مفدي زكريا" ينقص من قيمة وشأن "روما"، فيعرضها للبيع؛ وكأنها شيء مادي يعرض في المزاد العلني، ثم ينتقل للحديث عن "تاكفارناس" الذي ورث البطولة عن أجداده، وقد عرف بحرب الثماني سنوات، وقاد مجموعة من الأحرار تحدوا الجيوش الرومانية وصدوها.

سلـــوا طبريـــة يذكـــر تبيريـــوس تيكفرنـــاس يوالـــي الهجومـــا

ثمـان سنوات يصـارع رومـــا فدق المسـامير فـــي نعش رومـا[2]

وقد قاد "فراكسن" حربًا عظيمةً ضد "بربروس" وجيشه في جبال جرجرة، وقد استطاع "فراكسن" التغلب على هذا الطاغية الروماني، إذ أخرجه منكسرًا من أرض الوطن.

سلـــوا بربروس يجيبكم فراكسن مـــن جرجـــرا كيف أجلـى الغيومـــا[3]

وقد ذكر "أغستنس" بأنه قد حيّر العالم ببطولاته، فهو مفخرة للجزائر كلها، ضف إلى ذلك بأنه فيلسوف، ومفكر أخلاقي، ومرب عالمي.

وهـــذا أغستنس بالاعتـــر افات حير ـ عبر الزمان ـ الفهوما

وأسقف بونـــة أصبـــح قـد يس قرطـاج مثبت فيهـا العلومـا

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:39.

(2) المصدر نفسه، ص:40.

(3) المصدر نفسه، ص:40.

وكان أغستنس فخر البـــــلاد، وكـــــان بهـــــا الفيلســـوف العظيمـــــا[1]

ويأتي الدور على "يوبا الثاني"، فقد كان سياسيًا وعسكريًا محنكًا، بالإضافة إلى ذلك كان مهتمًا بالجغرافيا، فكان أول من وضع جغرافية لجزيرة العرب، اقترن اسمه بمدينة "شرشال"، إذ جعل منها عاصمة للعلم والعلوم؛ فشيد أول جامعة، ومسارح، ومعابد، وقصور على الطراز اليوناني، فكان بذلك شرفًا لنا وشرفًا للمغرب.

أشرشـــال!.. هـلا تذكرت يوبـــا؟ ومـــن لقبوا عرشك القيصريـــــة؟

ومن مصروك فنافست رومـــــا؟ وشرفـــت أقطارنـــا المغربيـــــة

لمـــــاذا بلقب يوبـــــا بثـــــان؟ أمـا حق السبق فـــي المدينـــة؟

أمـا كـــان أول مـن خط رسمـــا لوجـــه جزيرتنـــا العربيـــــة؟

أما شاد يوبـــا شرشـال للعـــــلم أول جامعـــــــة أثريـــــــــة؟[2]

أما "أبولوس" فهو خريج الحقوق والآداب، اشتهر بالمخبر التشريحي، وله مؤلفات كثيرة؛ من بينها قصص عن الحيوان، وقد نقلها عنه الأمويين، وكان من أبرز أعضاء النادي الإفريقي بروما الذي كان يجتمع فيه العباقرة الأفارقة وكبار الكتاب والأطباء والمحامين الشرعيين، وكانت روما تستدعيه في القضايا الكبرى، وبعد ذلك أصبح قاضيًا فيها.

وهـــذا أبولوس كـــان طبيبًـــــا يدين لـــــه العـــــلم بالعبقريـــــة؟

وأبدع فـــــي قصص الحيـــــوا ن، فأثر فـي القصص الأمويـــة

وكـــــان الأفـــارق فـــي منتداهم بروما يخصونـــــه بالتحيـــــــة

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:40.

(2) المصدر نفسه، ص:41.

وكـــان أبولوس قاضي رومـــا ليمنـــاه ترفع كـــــل قضيـــة[1]

وينتقل "مفدي" للحديث عن إشعاع الرسالة الإسلامية، التي غيرت مجرى الحياة، وقضت على الكثير من العادات السيئة التي كانت منتشرة في تلك الفترة.

ولاح الصّبـاح، فهـز السكـــارى وأجلـى الندامـى، ورض الكؤوسـا

وأيقـظ حلـم الليـالي الحبالـــى وأسـرج فـي الكائنـــات الشموسـا[2]

وبعد وصول الفتوحات الإسلامية إلى الجزائر تأثرت (الجزائر) كغيرها من البلدان العربية بهذه الرسالة، فهؤلاء العرب الفاتحين ليسوا كغيرهم من الغزاة السابقين، الذين كانت نواياهم سيئة، بل إنّ نيتهم حسنة، فيها بشرى للبلاد والعباد.

وأهوى علـى البغي، يذروا الجذو ع، ويغرس في الجبروت الفؤوسا[3]

فضمير الغائب يعود على الدين الإسلامي، فقد وجد الجزائر في صراع مع التخلف والجهل، لذلك فقد غير في مجرى الحياة، ووحد صفوفهم وجمع شملهم.

وهبنا العروبة جنسًـــا وديناً ـــا وإنا بمـا قد وهبنـــا رضينـــا

إذا كـــان هذا يوحد صفًـــا ويجمع شمـــلاً رفعنـــا جبينـا

وإن كـان يعرب يرض الهـــوا ن، ويلبس عـارًا.. أسأنا الظنونـا[4]

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:41.

(2) المصدر نفسه، ص:42

(3) المصدر نفسه، ص:42

(4) المصدر نفسه، ص:43.

ثم يتحدث "مفدي زكريا" عن البطل "عقبة بن نافع"، ويرحب به في أرض الجزائر، ويشيد بأعماله البطولية؛ فهو الذي أدخل الإسلام إلى الجزائر، وعلاّ الصوامع، وبنى الجوامع.

ومرحـى لعقبـة فـي أرضنـــا ينير الحجـى، ويشيع اليقينـــا

ويعلي الصوامـع، فـي القيـروا ن ويرفعها للدفـاع حُصونـــا[1]

ويكمل الشاعر حديثه عن الدول الإسلامية التي تعاقبت على أرض الجزائر، فيذكر الرستمين ونظامهم المبني على الشورى، وينشر "عبد الرحمن بن رستم" أرض الجزائر عدلاً وفضلاً وعلمًا، حتى أصبحت "تيهرت" أشهر من "بغداد".

وهـال ابـن رستم أن لا نسـود ولا نبني كيانًـا لنـا مستقـلا

فقـام بتاهرت يعلـى اللـوا ء، ويرسى نظامًا، وينشر فضلا

يوجـه حكم البـلاد الشـرا ة بوحى الشريعـة حقـا وعـدلا

ويجعل أمـر الجمـاعة شورى وحق انتخـاب الإمـامة فضـلا

إلى أن يقول:

فدوخ بغـداد فـي أوجهـا فكانت لتاهرت بغداد... ظـلا ! [2]

وبعد الدولة الرستمية يتنقل للحديث عن دولة الأغالبة، ثم الدولة الحمادية.

سل ابن علنـاس عـن ذكرنـا وقلعـة حمـاد عـن مجدنـا

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:43.

(2) المصدر نفسه، ص:44.

يجبك ابن حمديس في الخالد ين، ويصنع قوافيه من وحينا[1]

ثم ينتقل إلى دولة الموحدين؛ هذه الدولة التي كان لها الفضل في توحيد بلاد المغرب تحت إمرة "المهدي بن تومرت"، فانتشر فيها الأمن والسلام، فكانت بذلك قبلة للنازحين الأندلس.

وتنجب ندرومة الخالد ين فتعالى الجزائر منها الجبين

ويصنع وحدتنا ابن علي، فيرفع رايتها باليمين

وينبض قلب بأرض الجزا ئر، تمسك تونس من الوترين

وتنصب أندلس عندنا وترتاح للعرب النازحين[2]

بعد الدول الإسلامية يتوقف الشاعر الحديث عن الحملات الصليبية على المرسى الكبير ووهران؛ فهي حملات صليبية قذرة تعرضت لها الجزائر من قبل القراصنة الإسبانيين والبرتغاليين والفرنسيين، بقيادة الراهب الأهوج "حمنيس".

وأوغز قلب الصليب الحقود علانا وأمعن فينا الحسود

وطافت بوهران جيطان غدار وزيان ما استطاع حشد الجنود[3]

وقد استنجدت الجزائر بالأخوين التركيين "بابا عروج" و"خير الدين" اللذان يعملان متطوعان في سبيل الله، وقد استجابا للنداء.

ولعلع في بربروس نداها فثار وأقسم أن لا يعود[4]

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:49.
(2) المصدر نفسه، ص:50.
(3) المصدر نفسه، ص:52.
(4) المصدر نفسه، ص:52.

وقد رفض الأخوين بربروس هذه التحرشات، فقام "خير الدين" بتأديب هؤلاء الأوباش الذين استحوذوا على التجارة عبر البحر، وأكثروا من السرقات والمباغتات.

قراصنــة البحر عــاثوا فســـادا فأدب ليث البحـــار القـــرود[1]

وقد استطاع الأتراك القيام بواجبهم المقدس على أكمل وجه، ونصروا الإسلام بطلب من أهالي الجزائر.

وآزرنا الترك حتـــى انتصرنـــا ولم يخفر الترك ماضـي العهـود[2]

وينهي الشاعر حديثه عن عهد الأتراك بتأكيده على وحدة السيادة الوطنية، وتقديم شكر وعرفان لجميل الأتراك.

ولم نك التـــرك بالتـابعيـــن وإن عززوا سعينـــا بالجهـــود

ونحن أنـــاس نعــدّ الجميـــل، ونرعـــى ذمـــام الصديـــق الودود[3]

إن الحديث عن الفترة الاستعمارية يحيلنا إلى ذكر الأسباب الحقيقية التي أدت إلى دخول الاستعمار الفرنسي إلى أرض الجزائر؛ فقد كانت فرنسا مدينة للجزائر بكثير من الديون، فبعضها كان قروضًا نقدية، وبعضها الأخر كان ثمنًا لصفقات من حبوب اشترتها فرنسا من الجزائر.

وجـاعت فرنسـا فكنـــا كرامـــا وكنا الآلـي يطعمـون الطعامـــا

فأبطـــرهم قمحنـــا الذهبـــي وكـم تبطـــر الصدقـــات اللئـــامـــا[4]

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:52.

(2)المصدر نفسه، ص:52.

(3) المصدر نفسه، ص:52.

(4) المصدر نفسه، ص:53.

لكن لما عجزت فرنسا عن تسديد هذه الديون، وضعت لنفسها أسباب لا أساس لها من الصحة لاحتلال صاحبة الفضل، فاتخذت من حادثة المروحة ذريعة لذلك:

ومروحـــــة الداجي لـم تـك إلاّ كما يستبيح اللصوص الحرامـــا[1]

وقد أصبح الاحتلال الفرنسي أمرًا مفروضًا على الجزائر كلها، لذلك قام الشعب الجزائري يقاومه شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا، وهذا دليل على شمولية الثورة في كل ربوع الوطن، فهي لم تخمد في يوم من الأيام، فما إن تهدأ في ناحية، حتى تندلع في ناحية أخرى، وذلك من أجل تشتيت نظر القوات الفرنسية، يقول "مفدي زكريا" في ذلك:

صعدنا نقـاوم شرقًـــا وغربًـــا ونجعـــل أرواحنـــــا سلمـــــا

وثرنـــا، نقـــاوم: بيتًـــا فبيتـــا وشبرًا فشبرا، ونسبـــي الدمـــى[2]

وقام بقيادة هذه المقاومات الشعبية، أبطال الجزائر المحنكين؛ ففي قسنطينة قادها "أحمد باي"، وقد التفت حوله الأمة الجزائرية والأتراك الباقين في الجزائر، فدوخ "باي الجزائر" فرنسا وذوقها العذاب، والتاريخ يشهد بذلك، لكن كثرة الجيش الفرنسي، وإمكانياته المتطورة، والدعم المادي الذي كان يتلقاه من قبل حلفائه في الخارج، مكنه من التغلب عليها، فاحتلال "لاموريسيير" إنذار بنهاية المقاومة في الشرق، لكن هذه النهاية كانت ظاهرية فقط، بل في الباطن بقيت المقاومة مشتعلة.

غـزا لاموريسيير أحمـــد باشـــا فقمنا بسيرتـا نصـون الحمـــى

وثرنـــا، نقـــاوم: بيتًـــا فبيتـــا وشبرًا فشبرا، ونسبـــي الدمـــى

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:53

(2) المصدر نفسه، ص:54.

ولولا تخـــــاذل بعض الكسالـــــى الرعـــــاديد! لم نفلت المجرمـــــا!![1]

أما المقاومة في الغرب "معسكر" فقد قادها بطل أخر من أبطال الجزائر هو "الأمير عبد القادر"، بويع وهو شاب ذو الرابعة والعشرون من عمره من قبل قومه ورؤساء القبائل، عرف بينهم بالحنكة والبطولة والشهامة والرأي الحصيف السديد، بالإضافة إلى ذلك فهو شاعر ملهم:

معسكر فجّر عـــزم الشبـــاب فطـــاول عملاقهـــا الأنجمـــا

وبويع، شاعرهـــا الهاشمـــــــي، فكـــــان بهـــا القـــائد الملهمـــا

يصوغ النظامـــا، ويبري الحســـام، فيقطـــــر ذاك، وهـــذا... دمـــــا[2]

وتعتبر مقاومة "الأمير عبد القادر" أطول المقاومات في الجزائر، فقد دامت 18 سنة، وخلال هذه الفترة الزمنية الطويلة استطاع هذا البطل تأسيس الدولة الجزائرية، وتسيير الجيش للجهاد، وأركع فرنسا تحت قدميه.

أيا عبد القـــادر... كنت القديرا وكان النضـــال طويـــلا عسيرا

شرعت الجهـــاد، فلبـــاك شعب وناجـــاك ربّ، فكـــــان النصيـرا

ونظمت جيشـــا، وسست بـلادا فكنت الأمير الخبيـر الخطيـــرا

ثمان وعشرا... تخوض المنـايـا وتجزي السرايـــا، وتبني المصيرا[3]

ولما أحست فرنسا بخطورة هذا البطل المغوار لجأت إلى العديد من الحيل؛ منها عقد المعاهدات، وكان "أمير الجزائر" متفطن لخداعهم ومكرهم، وقد اعتبر هذه المعاهدات بمثابة

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:54.

(2) المصدر نفسه، ص:54.

(3) المصدر نفسه، ص:55.

استراحة واستعداد لتسديد الضربات الموجهة لخصمه، بالإضافة إلى حيلة أخرى هي: محاولة شراء ضمير الأمير، لكن إيمانه القوي بهذه المقاومة، ووفائه لهذا الوطن جعله يأبى ويرفض ذلك.

تدمغ بالعـــلم مـــن جـــادلو ك، فكنت الضليع، وكانوا الحميرا

وكـم رام إغراءك العـــــــابثو ن، فلم تك غمرا صيبـــا غريـرا

وكـم عـاهدوك... وكم أخلفـــوا وكنت بمـا يضمــرون بصيـرا...[1]

ثم قاد المقاومة بطل أخر من أبطال الجزائر، هو "عبد الرحمن بن زيان" قرب بسكرة، وكان داهية، فقد عقد اتفاق مع الجيش الفرنسي على أن لا يهاجموا الزعاطشة ويتولى هو إمدادهم بما يحتاجون، وذلك من أجل ربح الوقت والاستعداد للمقاومة والإطاحة بهم، لكن الجيش الفرنسي قد تفطن له، وقال: هل يوجد جزائري لا يسجد أمام قدمي؟ فقالوا له: شيخ الزعاطشة "عبد الرحمن بن زيان"، فأمر بجلبه لكنه رفض المجيء إليه، والخضوع والانقياد لهذا الصرصور القذر. فقامت الحرب بينهما، وقد التف الشعب الجزائري حول "بن زيان" وقاموا بنصرته، لكنه في الأخير استشهد

تلقف رايتـــك ابـن الجـزائـــــر وعند ابن زيـــان تبلـــى السرائر

وهب الزعاطشـــة الثـــــائرو ن، فهبّ لنصرتهم كـــل ثـــائر

تحدى ابن زيان سخف اللئـــام، فمـــــات الشهيد فداء الجـــزائـــــر

وهل يخفض ابن الجزائر هامـــا ويحني جبينـا أمـــام الصّراصر؟[2]

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:55.

(2) المصدر نفسه، ص:56.

وفي نفس المقطوعة يكمل "مفدي زكريا" حديثه عن مقاومتين هما: مقاومة "أبي معزة" و"أبي بغلة"، وما وقع فيهما من معارك بطولية في كل من سطيف وقسنطينة.

ويذكـــــر أبــو معزة للجبـــــا ل صراع أبي بغلة في المغــاور

وتحفظ سطيف لأبطالهـــــــــا وأبطال سيرتــا جليـل المخــافر[1]

وكان للمرأة الدور الكبير في الجهاد والمقاومة، وقد أعطى لنا الشاعر مثالاً عن ذلك بلالة " فاطمة نسومر"، فقد قادت المقاومة في جبال جرجرة، فأرعبت فرنسا بأكملها.

وتذكـر ثورتنـــا العارمـــــة بطولات، سيدتي فـــاطمـــــه

يفجـر بركانهـــــا جرجـــرا فترجف بـــاريس والعـــاصمـه![2]

فهي المرأة البطلة الشجاعة، التي استطاعت أن تصمد في وجه جنرالات فرنسا أمثال "راندون"، فقد داست على أنفه فخابت بذلك نوايا فرنسا الشريرة.

وأرعفت راندون فـــي كبـــره ودست علـى أنفـــه الراغمـــه

وصعدت للجنـــرالات خـــدا فخــابت نوايـــــاهم الأثمـــه[3]

لا يزال الشعب الجزائري مصمم على الثورة والمقامة والفداء، فناداهم بطل أخر من أبطال الجزائر، يسمى "سليمان بن حمزة"، ويطلق على مقاومته بـ "مقاومة سيدي الشيخ".

وقد ألحق هذا البطل الفذ بالجيش الفرنسي الذي كان تحت قيادة الجنرال "بوبريت" شر هزيمة؛ فقد مات كل رجال العدو بما فيهم قائد الحملة، إذ غرس فيه "حمزة" نباله بيديه أثناء المعركة.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:56.

(2) المصدر نفسه، ص:57.

(3) المصدر نفسه، ص:57.

بنو سيّدي الشيخ قادوا النضـــالا فهـزوا الثرى وأذابوا الجبـــــالا

سليمــان حمـزة آلـــــى يمينـــــا فبّر، وأصلــى المغير الوبـــــالا

سلــوا بوبريت العقيـد المسيحـى وحمـــزة يغرس فيـــه النبـــــالا[1]

وقامت أيضًا مقاومة أخرى في الجنوب بقيادة "ابن شهرة" و"بوشوشة"، وفي نفس الوقت كان البطلان "بومزراق" و"المقراني" ينظمان للمقاومة في الشمال، وقد كان أيضًا الشيخ "حداد" يوجه نداءاته لكل مناطق الوطن لقتال العدو لأنّ الوقت قد حان، وأنّ فرنسا قد تعبت من الهزائم المتكررة، لذلك يجب انتهاز الفرصة والتخلص منها ورميها خارجًا.

وصحـراؤها وابن شهرة فيهـــــا يهيل علـى الغاصبين الرمـــــالا

وجيش أبي شوشـــــــة المستميت بصحرائنـــــــا، ينسف الاحتـــــــلالا

وصوت ابـن حداد دوى دويـــــا ينـادي: البدار، ويدعو: القتـالا

ومـن آل مقران في الشاهقـــــا ت، نسور، بواشق، تهوى النـزالا

وقـال: بومزراق حـــان الجهـــا د، فحقق بالمعجـزات المحـــــالا[2]

فالمقاومة في الجزائر لم تتوقف في يوم من الأيام، لا في السهول ولا في الجبال، حتى في أقصى الجنوب ـالهقار ـ قامت ثورة بقيادة الشيخ "آمود".

وهقـــار تزهـــو بآمودهـــــــا يذود عـن الشرف المستبـــــاح[3]

وبعد الحديث عن المقاومة العسكرية التي قام بها أبطال الجزائر في جميع التراب الوطني، ينتقل للحديث عن كفاح أخر خاضه الشعب الجزائري، ألا وهو الكفاح المسلح.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:58.

(2) المصدر نفسه، ص:58.

(3) المصدر نفسه، ص:59.

وقد بدأ الشاعر حديثه عن المقاومة السياسية بحركة "الأمير خالد"، إذ كان هذا الأخير يطالب فرنسا بالوفاء بعهودها للجزائريين، وإلغاء القوانين الجائرة التي وضعها "ولسون" وحاول فرض بنودها وراود صدق الضمير الأمير فقام يلاحق طيف الخيال.

ويعدو بفرســـــــاي خلف الوعـــــود، يناشد ولسون فرض المحـــــــال

تجاريب خـــــالد مهمـــا تكن... فلم نك نغمط قدر الرجـــــال!! [1]

وكان لحزب نجم "شمال إفريقي" الدور الكبير في توعية الشعب الجزائري وإعداده للحرب، من أجل إرجاع أرضه المغتصبة، وإخراج الجيش الفرنسي منها:

لئن بحّ صوت السيوف الصقـال وأغفى صريرا الرمـاح العوالـــي

فحرب اليـــراع أعـــــاد الصرا ع، يقود سرايـــاه نجم الشمـــــال[2]

وقد اقتحمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ميدان الحرب، وكان أول ما حاربته الاستعمار الفرنسي، وذلك بالإصلاح الديني ومحاربة الطرقية والجهل، فقام "عبد الحميد بن باديس" ببناء المدارس في أنحاء البلاد، وقد استطاع بذلك الحفاظ على الشخصية الوطنية الإسلامية:

وفـي الدار جمعيـة العلمـــــــاء تغذي العقول بوحي السمـــــاء

وتهدي النفـوس الصراط الســـو ي وتغرس فيها معاني الإبـــــاء

إلى أن يقول:

وتبني المدارس عرض البـــــلاد فيعلى ابن باديس صرح البنـــاء

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:60.

(2) المصدر نفسه، ص:61.

ويرتـــــاع مستعمـــر مستبـــد وتخشى الخفافيش نبع الضيـــاء[1]

وقد كان لهذه الأحزاب السياسية الدور الكبير في نشر الوعي في أوساط الشعب الجزائري، وهو عمل ليس باليسير في تلك الفترة.

لكن هذه الأحزاب لم تستطع تحقيق ما كان يصبوا إليه الشعب الجزائري.

وطالت خرافات حرب الكـــــلام ومـــا بلـغ الشعب المـــــرام[2]

فمفدي زكريا هنا يشبه السياسة بالخرافة، وكأنه يرفض العمل السياسي رفضًا نهائيًا، لأنه في نظره لا يفضي إلى نتيجة مع الاستعمار، فالوسيلة الأكثر جدوى ونفع هي القوة العسكرية، وقد أيقن الشعب الجزائري بذلك، ووصل إلى نتيجة مفادها أنّ: ما أخد بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة.

ولن يغسل العـــار إلا الدمـــا وعاش الحديد... يفل الحديدا...[3]

والشاعر هنا على صواب، فلا السياسة ولا الكلمات والهتافات هي التي تأتي بالحرية.

ولا كلمـــــات علـــى جـــــدران هل الحبر في الحرب كان مفيدا...؟؟

ولا بالهتـافـات عـاش... ويحـــي فمـــا حرر القـول يومـــــا عبيدا!! [4]

لقد اتفقت فرنسا مع الجزائريين بأنها سوف تمنحهم استقلالهم، شرط أن يمنحوها هم خيرة أبنائهم للمشاركة في الحرب التي ستقودها هي ضد ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية، ووافق الجزائريون على هذا الأمر، وشاركوها الحرب، ودافعوا عن شرفها المهان من طرف الألمان، وأعادوا لها كرامتها، ومات آلاف الجزائريين في هذه الحرب.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:62.
(2) المصدر نفسه، ص:68.
(3) المصدر نفسه، ص:65.
(4) المصدر نفسه، ص:65.

وانتهت الحرب بانتصار الحلفاء، فخرج الشعب الجزائري في كامل التراب الجزائري، معبرين عن فرحتهم بهذا الانتصار المحقق، مطالبين فرنسا بتحقيق وعودها، لكن الحقد الذي تكنه فرنسا للجزائريين، وكرهها لهم جعلها ترتكب في حق هؤلاء الأبرياء أبشع الجرائم، فأظهرت بذلك نواياها الخبيثة، وتحولت بذلك الوعود إلى خيبات أمل، وكانت النتيجة مجازر رهيبة، راح ضحيتها خمسة وأربعون ألف شهيد، فما ذنب هذا الشعب الذي خرج مطالبًا فرنسا الاعتراف بحقه في الحرية وتقرير المصير.

ولم ننس في أربعين وخمس ضحايا المذابح في يوم نحس

طربنا مع الحلفاء اغترارا وقمنا نصفق من غير عرس[1]

وقد كانت سطيف وقالمة مسرحًا شاهدًا على هذه المجزرة الوحشية الجماعية.

وكانت مجازرهم بسطيف وقالمة للشعب، دقات جرس[2]

لكن أبطال الجزائر لن يسكتوا عن هذه الإبادة الجماعية، وسيردون الصاع صاعين، فساعة الثأر آتية وقريبة، إنها ليلة الفاتح نوفمبر.

هم الثائرون الألى ولدُوا نوفمبر من صلبهم، فاستقام[3]

وجاءت ليلة الخلاص؛ إنها الليلة المقدسة، ليلة الفاتح من نوفمبر.

تأذن ربك ليلة قدر وألقى الستار على ألف شهر[4]

فالشاعر هنا يسمو بمقام هذه الليلة ويشبهها "بليلة القدر" وكيف لا؟ وهي ليلة انطلاق البطولة والجهاد لتحرير البلاد والعباد.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:66.
(2) المصدر نفسه، ص:66.
(3) المصدر نفسه، ص:68.
(4) المصدر نفسه، ص:69.

فاجتمعت بذلك قدرة وقوة الله عز وجل وإرادة الشعب؛ فجاءت لحظة القصاص، لحظة التخلص من هذه العجوز الشمطاء، والتي لا تعرف إلا المكر والخداع.

وقال لــه الشعب: أمرك ربــي! وقــال لــه الربّ: أمرك أمري!!

ودان القصـاص فرنســا العجــوز، بمـا اجترحت مــن خداع ومكــر[1]

ولعلع صوت رصاص الأبطال المجاهدين المحنكين، وانطلق دويّ المدافع عاليًا، يهدد الظلم والطغيان، رافضة بذلك الكلام العقيم الذي لا يجدي نفعًا، مفضلة عليه ضجة وصخب الحرب.

ولعلع صـوت الرصــاص يـدويّ فعـاف البـراع خرافــات حبــر

وتأبــى المدافـع صـوغ الكــلا م إذا لم يكن مـن شـواظ وجمــر[2]

فقد غير نوفمبر مجرى حياة الشعب الجزائري، فهم يرون فيه مطلع فجر الحرية.

نوفمبر غيرت مجرى الحيــــاة، وكنت ـ نوفمبر ـ مطلــــع فجــر

وذكرتنـا ـ فــي الجـزائـر ـ بدرا فقمنــا نضاهـي صحابــة بدر[3]

فالشاعر هنا يقوم بمقارنة بين نوفمبر وغزوة بدر؛ فإذا كان نوفمبر علامة لانطلاق الجهاد، فإنّ غزوة بدر كذلك علامة لانطلاق الرسالة الإسلامية، فالهدف بينهما متقارب، وهو الدفاع عن الكرامة المفقودة، واسترجاع الحق المسلوب.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:69.

(2) المصدر نفسه، ص:69.

(3) المصدر نفسه، ص:69.

وكان لثورة نوفمبر الدور الكبير في مطالبة الشعوب باستقلالها، وقد اعترف المسؤولون الفرنسيون بأنهم يفضلون منح جميع البلدان استقلالها، وهذا من أجل التفرغ للجزائر، والحفاظ عليها لأنها تمثل لهم لؤلؤة مستعمراتهم.

ونلهم ثورتنـــــــا مبتغانـــــا فتلهم ثورتنـــــا العـــــالمينا[1]

لقد التحم الشعب الجزائري، ووحدوا صفوفهم أثناء الثورة التحريرية، خوفًا من التصدع والإخفاق في تحقيق الهدف المرجو وهو الاستقلال.

جمعنا لحرب الخـــلاص شتاتـــا سلكنا بـــه المنهج المستبينـــــا

ولولا التحـــام الصفوف وقانـــــا لـــكن سمـــــاسرة مجرمينـــــا[2]

والشاعر يتمنى بأن تقفو فلسطين خطى الشعب الجزائري، وأن تحقق مثله الانتصارات والبطولات:

فليت فلسطين... تقفو خطانـــــا وتطوي ـ كما قد طوينا ـ السنينا!! [3]

لقد عقد الثوار الجزائريون مؤتمرًا تاريخيًا أسموه بـ"مؤتمر الصومام"، وهو نقطة تحول في تاريخ الثورة الجزائرية، مكان له الفضل في وضع أسس ثابتة لمستقبل الثورة

تبـارك واديك صومـــام إنـــــا حفظنا عهـــودك أيـــــان ثرنـــا

أصومـــام باسمـــك، صمم شعب سياسة ثورتـــــه، فانطلقنـــــــا[4]

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:70.

(2) المصدر نفسه، ص:70.

(3) المصدر نفسه، ص:70.

(4) المصدر نفسه، ص:71.

وكانت أحداث 1955 و1956 سببًا في إدراج القضية الجزائرية في الجمعية العامة للأمم المتحدة، ولقيت الجزائر تأييد ودعم الكثير من الدول، وكشفت الأعمال الإجرامية التي تقوم بها فرنسا في الجزائر.

وكان لخمسٍ وخمسين نجوى لست وخمسين يوم اجتمعنـــا

وأصغى لنـا المجمع الدولـــي الأصم، وأرهف للسمع أذنـــا[1]

لقد حول الشعب الجزائري أسلوب المقاومة من السياسة إلى العنف، ومن الملاينة إلى القوة والإضراب عن العمل، وعن الطعام، إنه التحدي، والوقوف في وجه الاستعمار، ورفض الخضوع والاستكانة لهذه الجرثومة، التي أبت الخروج من هذه الأرض الطاهرة المسقية بدماء الشهداء الأبرار، فأقسم بذلك أبطال الجزائر بأن يواصلوا صمودهم وتحديهم.

تبـارك شعب، تحدى العنـادا فصام، وأضرب، سبعـا شدادا

وأنف أن يستسيـغ الحيـــــا ة، تجرعه ذلـــة واضطهـــادا

وأقسم، أن لا يعيـش النهـــا ر عميـــلا... يوفر لليوم زادا

وأن يهجر النوم يلقـى المنـــا يا، ويبلوا الليالى الطوال جلادا[2]

ويواصل أبطال الجزائر بطولاتهم حتى في بلاد العدو، حيث قام المهاجرون الجزائريون بمظاهرات في فرنسا عام 1960، تضامنًا مع كفاح وطنهم. لكن وحشية الشرطة الفرنسية وغلها الشديد على الجزائر وأبنائها كان شديدًا؛ حيث ألقت القبض على المتظاهرين ورمتهم في نهر "السين"، فماتوا غرقًا.

وكم ألحقـــوا بالمهـاجر ذلا فذاق العذاب الأليم الوبيـلا

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص71.

(2) المصدر نفسه، ص:77.

فيا عام ستين قُصّ علينـــا فضائح جيشٍ يذوب غليـلا

ويزارع الموت فـــي أرضهم هُمو زرعوا، فأقمنـا الدليــلا

سل السين كم قذفوا من ضحايا؟ وكم صنعوا المذهل المستحيلا[1]

إذا كان الإنسان الجزائري قد حقق بطولات كثيرة أثناء الثورة، فإن الحيوان أيضًا قد أدى دوره البطولي في تلك الفترة.

إذا الشعر خلد أسد الرهـان أينســـى مغـــامرة الحيوان؟[2]

لقد كانت البغال والحمير الوسيلة الوحيدة لنقل الأسلحة والذخيرة إلى الجبال، فرغم صعوبة مسلكها، والثقل الذي تحمله فوق ظهرها إلا أنها تتحدي هذه الأثقال والصعوبات، وتكمل مهمتها على أكمل وجه.

أينسى البغـــال؟ أينسى الحمير، وهـل ببطولاتهـــا يستهـــان؟

سلام علـــى البغـــل، يعلو الجبـــال ثقيـــلا، فيكبره الثقـــلان!

وعاش الحمار يقل السلاح، ويغشـى المعـامع ثَبَت الجنـــــان[3]

أما الفئران فكانت تطلى من قبل المجاهدين، بالبنزين ويشعلونها، فتنطلق في المحاصيل الزراعية التي هي ملك للمستعمرين الفرنسيين، فتتلف هذه المحاصيل، فتشعل الرعب في قلوب الجبناء الفرنسيين، وفي الأخير تنهى الفئران بطولاتها بالاستشهاد في سبيل هذا الوطن.

وبارك فأرًا... يوزع نـــــارًا فيخلع بالرعب، قلب الجبـان

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:79.

(2) المصدر نفسه، ص:81.

(3) المصدر نفسه، ص:81.

ويلقي الشهادة شهمًا كريمًـا وقد عاف ذلّ الشقـا والهوان[1]

والعنز أيضًا أدى دوره البطولي، فقد كان الثوار يستخدمونه كوسيلة لتضليل الجيش الفرنسي، إذ يعلقون على جبهاته مصابيح كهربائية صغيرة، فيتراكض هنا وهناك، فيحسبه جنود العدو الجيش الجزائري فيصوبون إليه طلقات نارية، فيطوقهم الثوار في الاتجاه المعاكس، أما العنز فمصيره الاستشهاد أيضًا.

وطوبى لعنز يضلل جنـــدًا ويخدع أحلاســه بالأمـــــان[2]

والكلب أيضًا قام بدور فعال، فقد روضه الثوار عدم النباح حتى لا يكشفهم، ثم إن الحاسة القوية في الكلاب تجعلها تشعر بخطر وجود الطائرات التي تطارد المجاهدين في الجبال، فيكثر بذلك هيجانها فيحتاط المجاهدون منها.

وللكلب يهجـر طبـــع النبـــــاح، ويهوى النميمـــــة بالطيـران[3]

فبعد الكفاح الطويل، والمعاناة التي كابدها أبطال الجزائر، استطاعوا في الأخير تحقيق الهدف المرجو؛ وهو النصر والاستقلال، ورفرف بذلك علم الجزائر عاليًا في سماء هذه الأرض التي سقيت بدماء مليون ونصف مليون شهيد.

ولاح الخلاص، بحلم الليـــالي، ترفرف أعلامـــــه اللامعـــــه[4]

وينتقل الشاعر للحديث عن ثورة أخرى خاض غمارها الشعب الجزائري بعد الاستقلال؛ وهي معركة البناء والتشييد في الجزائر الحرة المستقلة.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:81.
(2) المصدر نفسه، ص:81.
(3) المصدر نفسه، ص:81.
(4) المصدر نفسه، ص:83.

وهذه الثورة الجديدة لا تقل خطورة وصعوبة عن سابقتها، لأن البلاد بعد الاستقلال كانت في حالة يرثى لها من الدمار في جميع الميادين.

وقمنـا نشيد صرح البـــــــلا د، نبني سيادتنا الطـــــــالعه[1]

وقد قدم لنا الشاعر نماذج من الثورات التي قامت بها الدولة الجزائرية الحديثة بعد الاستقلال، فيبدأ حديثه بالثورة الاقتصادية، حيث انطلقت الدولة ببناء المنشآت الاقتصادية.

فقمنا نشيد اقتصـــاد البـــــلا د، ونعلي المصانع فيها ونبني[2]

أما الثورة الزراعية فقد اعتمدت على إقامة المزارع المسيرة ذاتيًا؛ أي أن الفلاح يقوم بزراعة أرضه بمفرده.

ويزرع فلاحنـــــــا أرضـه... بذوب الشرايين لا بالتمنـــــى! [3]

وقد استرجعت الدولة الجزائرية أرضيها المغتصبة والتي اكتسبها الكثير من أبنائها بفضل خياناتهم أثناء الحقبة الاستعمارية، وقد أعادت الدولة توزيعها من جديد على الجزائريين في إطار الثورة الزراعية.

ورحنـــا نجمع مـــا طيرتـه يد الغـاصبين شظايـا بشظايـا[4]

فإذا كانت هناك ثورة في مجال الاقتصاد، فإن في مجال الفكر والثقافة ثورة أخرى هدفها تحقيق أصالة الشعب الجزائري، والحفاظ على العادات والتقاليد المتوارثة عن الأجداد، بالإضافة إلى محاربة الجهل والأمية والتخلف، والظلال الذي يتخبط فيه الشعب.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:83.
(2) المصدر نفسه، ص:87.
(3) المصدر نفسه، ص:87.
(4) المصدر نفسه، ص:88.

وقد أطلق الشاعر على هذه الثورة الثقافية مصطلحات عديدة منها: حرب الأصالة ومعركة المستوى.

إذا ما نتصرنا لحرب الخلا ص، فثرنا اليوم حرب أصاله

نهدنا لمعركة المستوى نربي النفوس ونغزو الجهاله

وتصنع إيماننا أمة قواما.. فترجف منها الضلاله

وإن ينصر الشعب حرب الضمير أقمنا بوحي الضمير احتفاله[1]

ومن اهتمامات الثورة الثقافية أيضًا محاربة الأخلاق الفاسدة التي سيطرت على ضعاف النفوس، وقد استوردوها من الثقافة الغربية؛ وأصبح الرجل كالخنثى، يتشبه بالمرأة ويطيل شعره، فيصعب التفريق بينه وبين الأنثى.

وتأبى رجولتنا الابتذا ل، وأحلامه، والشعور الطويله

تخنث هذا الزمان ودبّت خنافيس هيبى، تشيع الرذيله[2]

وغاب الحياء وانتشرت الزنا وأصبح الرجل يتغنج بحواء دون خجل واستحياء، وعمت آفة الحشيش في أوساط الشعب.

ونافس آدم حواءه دلالا، وغنجًا، ودبح فضيله!

وشاع الشذوذ، وذاع الحشيش، وأصبح للموبقات وسيله[3]

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:89.

(2) المصدر نفسه، ص:90.

(3) المصدر نفسه، ص:90.

وقد كان للمسجد الدور الكبير في محاربة هذه الفواحش والموبقات، ونشر الوعي والأخلاق الفاضلة في الأجيال الصاعدة، وذلك من أجل الحفاظ على القيم الروحية والخلقية المستمدة من الشريعة الإسلامية.

تسامت مصادر إشعاعنا تدعم خالص إيماننا...

مساجد للهدى في كل فج تنير السبيل لأجيالنا[1]

وقد اهتمت الجزائر المستقلة بتحقيق وحدة المغرب العربي؛ لأن ما يجمع بين هذه الدول شبيه بما يجمع العائلة الواحدة، لأن دينهم واحد ولغتهم واحدة، وعاداتهم وتقاليدهم تشبه بعضها البعض، لذلك وجب التكتل بين هذه الدول تحت راية الإسلام.

هو المغرب الأكبر المستمد رسالاته من رسول الهدى[2]

وقد شملت هذه الثورة السياسية أيضًا؛ فقد حاربت الدولة الأنظمة السياسية المستوردة من الخارج كالشيوعية، ورفضها رفضًا قاطعًا، لأن فيها تخريب وهدم أكثر من البناء.

فاتبعت الجزائر سياسة جديدة استمدت أسسها من الدين الإسلامي، والواقع الذي تعيشه.

أمانا من الخطر الداهم ومن معول قاصف هادم

غزا المذهبيون عقل الشبا ب بمستورد آفن آثم

وزاغو بهم دون إسلامهم إلى مذهب ليس بالسّالم

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:91.

(2) المصدر نفسه، ص:92.

ودسوا شيوعيـــــة كالوبـــــا ء كما يصرف السم للطاعم[1]

بالرغم من أن الجزائر قد تخلصت من الاستعمار بصفة نهائية، إلا أنه من واجبها الحذر من الأخلاق الفاسدة التي يقوم بنشرها هو والصهيونية.

وصهين صهيـون أخلاقنـــا فكيفنـــا أن نكون رعـــايـــا

وهـل يحزن العتـق مستعمـرًا وأخلاقنا فـي يديـه سبـايـا[2]

ومن المشكلات التي حاربتها الجزائر أيضًا زواج شبابها بالأجنبيات، لأنه وجد فيها الثقافة والحضارة، التي لم يجدها في حواء الجزائر.

فهذه الأجنبية التي تراقص زوجها، ثم تذهب لمراقصة شخص أخر بلباسها الغير محتشم، والذي تعرض فيه مفاتنها الجسدية، قد جنت على نفسها بالجهل والتخلف من خلال هذه الأعمال الدنيئة.

وبعض تزوج بالأجنبيـــــــة وقـــال: مثقفـــة حضريـــــه

تراقصنـــــى وتراقص هـــــذا وذاك... وتعبث عن حسن نيه

وتختـــال بالمينـى جوب دلالا وتستعرض المغريـــات الخفيه

وتتركنـى لا جنـــاح عليهـــا وتذهب للسهرة النرجسيـــــــه[3]

والأمر نفسه بالنسبة للبنات اللواتي فضلن الرجال الأجانب على فحول الجزائر المسلمين، وهذه المشكلة لها آثارها الوخيمة على أجيال المستقبل، لأنها تنكرت لأصلها فحلت بها اللعنة.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:96.

(2) المصدر نفسه، ص:98.

(3) المصدر نفسه، ص:104.

ولـكن حواءنـــا بلعتهـــا وبالعـلج أبدلـــت المســـلم

ولم ترض بالفحل مـن قومهـــا فهامت بمن... ما رمى إذ رمى!

فسحقًـــا لبنت تزيف جيـــلاً وتلعن فيها الدمـــاء الدمـــآ...[1]

وقد ذكر لنا الشاعر أن غلاء المهور هو السبب الرئيسي في نفور الشباب عن الزواج، أو زواجه بالأجنبيات، وتفضيله "ماري" و"ريتا" على "مريم" و"زينب"، فباع بذلك بنت الجزائر، واشترى بنتًا غريبة.

فبمجرد زواجه بهذه الأجنبية فإنه سوف يطير من الوكر الذي يعيش فيه ويفلت من ظلمات القبور، لأنها سوف تدخله في عالم نوراني، فتوفر له بذلك كل المتطلبات المادية.

وأجلى الشبـــاب غلاء المهور فـــلاذ ـ علـــى حبـــه- بالنفور

وفضل مـــاري علـــى مريم "وريتا" علـــى زينب والـــزهور

طـــار مـــع الريـح من وكره وأفلت مـــن ظلمـــات القبـور

كأنّ البنـات بضـــاعة سوق تباع وتشرى... فتقضـى الأمور! [2]

إذ كان هناك شباب طائش غير مبالي بالمسؤولية، فهناك شباب منظم واعٍ متحمل للمسؤولية، متشبع بالدين الإسلامي، وفيّ لدم أجداده، غير متنكر لأصله، رافض لتبعية الغرب، يصعب شراؤه من طرف المذاهب الغربية.

وأشـرب مـن نبـع إسـلامـه وفلسفـة الـدين وروح النظـام

ولم يتنكـــــر لأمجـــاده وأجـــداده الخـالدين العظـام

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:105.

(2) المصدر نفسه، ص:108.

ولم يـــك بالتبعيـــــات يغـــزى ويجري وراء السحـــــاب الجهـام

ولا بالمـــــذاهب يغـــرى فتشـرى ببخس عقيـــدتـه كـــالســـــوام[1]

بالرغم من أن "مفدي زكريا" وصف الجزائر وصفًا دقيقًا، وتحدث عن بطولاتها وأمجادها وانتصاراتها، إلاّ أنه يعتذر لها لأنّ قيمتها وعلاها يعجز أمامها اللسان.

بـــلادي، بـــلادي، الأمـــــــان أغنى عـــلاك، بـأي لســـان؟

جـلالـك تقصـــر عنـــه اللغـــى ويعجزنـي فيك سحر البيـــــان[2]

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:109.

(2) المصدر نفسه، ص:118.

ثانيًا: المعجم الشعري:

لقد تنوع المعجم الشعري في "إلياذة الجزائر"، « وتطورت اللغة الشعرية عند "مفدي زكريا" تطورًا ملحوظًا، واكتسبت صيغه طابعًا جديدًا، وتحرر خياله وانطلق انطلاقة واسعةً، ودخلت قاموسه الشعري مفردات وتراكيب معاصرة دلت على خبرته المكتسبة، ووعيه الفني، وأصبح معجمه الشعري يلائم العصر»[1]، ومن مظاهر تطور المعجم الشعري في "إلياذة" "مفدي زكريا" تأثره بالنص القرآني إلى حدّ بعيد، فمعجمه الشعري يغلب عليه الجانب الديني.

وللتمثيل نورد لفظة "المعجزة" وهي كلمة مستقاة من معجم الدين الإسلامي، وقد استعملها ليبين بها عظمة وأهمية الجزائر، ولذا نجد الشاعر يوظف أول لفظة في مقدمة أول مقطع للإلياذة هي "الجزائر".

فالكلمة التي تأتي في صدارة الكلام هي التي يكون لها صدى وقيمة عند المتلقي، لذلك قدم لفظة "الجزائر" ليأتي بعد ذلك بصفاتها.

ونجده أيضًا يستعمل لفظة "مطلع" وهذه الكلمة تحمل معنيين على اعتبار كلمة "مطلع" تدل على مطلع "إلياذة الجزائر"، والدلالة الثانية أنّ المطلع يرتبط بالمعجزات.

ومن هنا نفهم أن الجزائر في حدّ ذاتها معجزة من المعجزات، بل هي أول المعجزات، يقول "مفدي" في هذه المقطوعات:

جزائر يا مطلع المعجزات ويا حجة الله في الكائنات[2]

(1) محمد ناصر: مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ص:233.

(2) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:19.

والمعجزة لا يستطيع أحد تحقيقها إلا من كان في مستوى التضحيات التي قدمها الشعب الجزائري، والمعجزة التي قدمها الشعب الجزائري هي كسر شوكة المستذمر الفرنسي، وهناك أيضًا معجزات عديدة حققها الشعب الجزائري خلال كفاح طويل، ونظرًا لأهمية المعجزة التي حققتها الجزائر فقد كتبها "مفدي زكريا" وخلدها، ولام إخواننا المشارقة الذين تجاهلوها ولم يكتب عنها:

فكم حسدونـا على مجدنـا وجـاروا على البـلد الطيب!

وكم بالجزائر من معجزات وإن جحدوهـــا ولم تكتـب! [1]

كما استعمل لفظة "الجلال" وهي لفظة دينية من القاموس الديني الإسلامي قال تعالى: ﴿ تبارك اسم ربّك ذي الجلال والإكرام﴾[2].

ونوفمبر أجمل عمل في حياة وتاريخ الجزائر، إذ يقول "مفدي زكريا":

نوفمبر جلّ جـلالك فينـــا ألست الذي بث فينا اليقينـا[3]

وكذلك نصادف لفظة "الجلال" أيضًا في قوله:

ويا تربة تـاه فيها الجـــلال فتاهت بها القمم الشـامخات

وألقى النهاية فيها الجمـال فهمنـا بأسرارهـا الفـاتنـات[4]

ونجد اللفظة مجسدة أيضًا في قمم جبال الشريعة:

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:45.
(2) سورة الرحمن، الآية:78.
(3) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:70.
(4) المصدر نفسه، ص:19.

أيا ومضة من جلال الشريعة ويا هبة من هبات الطبيعـــة[1]

فهنا تأتي صفة "الجلالة" وارتباطها بالمجال الديني الإسلامي حين يعتبرها هبة من هبات الطبيعة، وهذه الصفة جاءت مقرونة بجمال الطبيعة، وخاصة البيئة التي يستشعرها الشاعر أمام قمم الجبال الشامخة يقول:

شريعتنـــا كجـــلال الشريعـــة كمـــالاتهـــا راسخـــات ضليعـــة[2]

كما وردت الجزائر مرتبطة بسياق ديني أخر، وذلك باعتبارها "بدعة"، والبدعة هي كل شيء خارج المألوف المتعارف عليه، لأن الجزائر ابتدعت أسطورتها المتمثلة في تحطيم التفوق العسكري لأكبر الدول الاستعمارية، والبيت الأتي يوضح ذلك:

جـزائـر يـا بدعـة الفاطـــر ويـا روعة الصـــانع القـــادر[3]

ففي هذه البيت صفتان من صفات الجزائر؛ فهي بدعة خرجت من المتعارف عليه والمألوف وهي أيضًا روعة؛ إنّ الجزائر ليست فقط بدعة تثير الانتباه ولكنها أيضًا روعة في منتهى السحر والجمال، وصفة الروعة تستمد دلالتها من البدعة، لذلك فإن هذه الفكرة تبدو قوية لأنه جعل الصورة تتحرك في سياق ديني محض استمد مفرداته من المعجم الإسلامي كالبدعة والفاطر والقادر.

وفي هذا البيت كناية دالة على جمال الجزائر وسحرها وإيمان الشاعر وافتتانها بها، حيث يقول:

ويلتف ســـاق بســاق فنصبـوا فيغمرنا ملتقى الفكر نصحـــا[4]

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:48.
(2) المصدر نفسه، ص:31.
(3) المصدر نفسه، ص:20.
(4) المصدر نفسه، ص:26.

وهذا الاقتباس واضح من قوله تعالى: ﴿ والتفت السّاق بالساق﴾[1]. وقوله أيضًا في "إلياذته":

ومن خائرين كأعجاز نخل ضمائرهم في المزاد رقيقة[2]

هنا أيضًا أخذ الشاعر الكلمة ومعناها من قوله تعالى: ﴿ كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾[3].

وقوله أيضًا:

وعرق الأصالة طّهَرَ طبيعي ونور الهداية أذهب رجسي[4]

وهذا البيت مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[5].

وقوله أيضًا:

وفي قدس جناتنا الناضرة وجوه، إلى ربّها ناظرة[6]

والبيت كما نرى مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾[7].

ويقول في هذا البيت أيضًا:

(1) سورة القيامة، الآية:29.
(2) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:28.
(3) سورة الحاقة، الآية:07.
(4) مفدي زكريا: المصدر السابق ، ص:35.
(5) سورة الأحزاب، الآية:33
(6) مفدي زكريا: المصدر السابق، ص:46.
(7) سورة القيامة، الآية:22ـ 23.

وأخرجت الأرض أثقـالهـــــــا فطار بها العلم... فوق الخيال...[1]

ففي هذه الجملة "أخرجت الأرض أثقالها" قام باقتباسها من قوله تعالى: ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها﴾[2].

لقد وظف "مفدي" هنا هذا اللفظ دون أن يقصد معناه، فهو لم يقصد المعنى الموجود في السورة، وإنما يقصد به الخيرات التي تزخر بها الجزائر كالنفط والغاز...

وهناك اقتباس أخر في قوله:

وسبح الله مـــــا فـي السمـــا وات والأرض ملء شفائف شفا[3]

وذلك من قوله تعالى: ﴿ سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾[4].

ومن الأمثلة والنماذج التي قدمناها يتضح لنا أن "مفدي زكريا" متأثر بالقرآن الكريم إلى حد كبير، لذلك يقوم باقتباس مفردات أو جمل من الدين الإسلامي أو بالأحرى من القرآن دون حرج أو خوف وهو الأمر الذي لا يمكن أن يجرأ عليه شعراء آخرون في ذلك الوقت.

إذن فالنص القرآني يحتل مكانة سامية ومقدسة في نفس "زكريا" وتقديسه له واضح؛ فكلما أراد التعبير عن قدسية وعظمة شيء أو مكان ما في نفسه قارنه بالقرآن.

لذلك يمكننا القول أنّ "مفدي زكريا" قد استفاد من القرآن الكريم، فوظفه في معجمه الشعري، فأضفى على إلياذته سمة متميزة طبعت بطابع الخصوصية والتفرد.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:36.
(2) سورة الزلزلة، الآية:02.
(3) مفدي زكريا: المصدر السابق، ص:34.
(4) سورة الحديد، الآية: 01.

وهناك مظهر آخر لتطور المعجم الشعري في "الإلياذة"؛ وهو استخدم "مفدي" لعناصر الطبيعة؛ أي أن ألفاظ معجمه الشعري مستمدة من الطبيعة الجزائرية بالدرجة الأولى، ولا طبيعة عند الشاعر بعدها.

و"مفدي زكريا" لم يعرف هذا الغرض ـ وصف الطبيعة ـ قبل الثورة؛ لأنه كان يراها بأنها مسلوبة ومغتصبة وفي أيدي نجسة، فلماذا يقوم بوصفها ويتغنى بجمالها، فقد كان اهتمامه واهتمام الجزائريين كلهم منصب في كيفية استرجاع هذه الطبيعة أو بالأحرى أرض الجزائر كلها.

لكن ما إن اندلعت الثورة حتى بدأ يتغنى بها وكأنّ عينيه تنفتحان لأول مرة عليها، أو كأنه لم يكن يعيش فيها من قبل، لكن الفرحة باسترجاع هذه الطبيعة تبعث إلى التمتع بكل ما فيها من جزئيات وكليات، يقول "مفدي زكريا":

سل الأطلس الفرد عن جرجرا تعـــالى يشيدّ السّمـا بالثرى!

فيختـــــال كبـــرا، تنافسه تقجدا فـــــلا يرجع القهقرى

تلون وجـــه السّمـــــاء بـــه فأصبـــح أزرقهـــا أخضـــرا

وتجثوا الثلوج علـــى قدميـــه، خشوعًـــــا، فتسخر منهـــــــا الذرى[1]

فالشاعر في هذه المقطوعة يتحدث عن جبال "الأطلس" الشامخة، التي تتعالى لتربط الأرض بالسماء، وهي تتنافس فيما بينها أيها يكون أعلى ذروة، حتى أنّ زرقة السماء أصبحت خضراء؛ وهذا لانعكاس خضرة الذرى على السماء والثلوج تجثو عند قدميها خشوعًا، بينما الذرى لا تقابل خشوعها إلاّ بالسخرية والاستهزاء، و"مفدي زكريا" لم يوظف الطبيعة في إلياذته من أجل المتعة الجمالية، وإنما كان توظيفه لها لغرض آخر، وهو إبراز

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:24.

الدور الذي قدمته أثناء الثورة التحريرية؛ فقد وقفت إلى جانب الإنسان الجزائري في مجال الثورة والمقاومة؛ ولكي نوضح ذلك نتقدم هذه المقطوعة:

وحمـام ملوان ملّ المجونـــا وأنهـى غوايتـــه والفتونـا

وفضل خوض الحمَام، بديلاً عن المُسْتحمات، والعـائمينا

وقد عاش دربًا لحلو الأماني فأصبح دِربًا يلاقى المنونـا

وكان كمين الضبـا والذئـاب فصار لصيد الذئاب كمينـا

وغاضت بـــه، ثورات الهوى ففجّرت العزم فـي الثـــائرينا

وأعلن توبتـــه فـــي الجبـا لِ، فكان الرّصاص القِصاصُ الضمينا

ومدّ اليمين لداعـــي الفـدا فأقسم أن لا يخون اليمينـــا

وشمرّ يرفض دنيـا المـلاهي وينفض عنه غبـار السنينـا

وأضفى الجمـال عليه جلالا وكان الجلال عليه ضنينا

هي الأرض... أرض الجزائر... مهما غوت، وصَبتْ... أبدا... لن تخونا[1]

فالشاعر هنا يتحدث عن حمام ملوان؛ الذي كان مكانًا للعشاق، ومرتعًا للضباء، وما إن اندلعت الثورة حتى أعلن توبته وأصبح مرتعًا للثوار وعملياتهم الجهادية، فهو يُشبه بذلك الإنسان، فقد قام بدوره في الثورة والفداء ولم يخن بلاده يوم احتاجته.

يقول "مفدي زكريا" أيضًا:

هـو الأطـلس الأزلـــي الـــذي قضى العصر يصنع أسد الشرى!

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:29.

وتسمو بأوراس أمجـــــــاده فتصدع في الكون هذا الورى[1]

فهو يتحدث هنا عن جبال الأطلس التي أفنت عمرها في صناعة الأبطال الذين فجروا الثورة، وفاجؤوا بها العالم، بالإضافة إلى أنّ هذه الجبال كانت أيضًا بمثابة بيوت للثوار الجزائريين.

ويتحدث الشاعر أيضًا في نفس المقطوعة عن دور آخر قامت به هذه الجبال وهي توحيد بلدان المغرب العربي.

أما وحّدَ الأطلس المغربي معاقلنا؛ بوثيق العرى؟؟

أمـــا طوقتنـــــا ســـــلاسله فطوق تاريخنـــا الأعصـرا؟؟

وكـم فوقـــــــه انتظمت قمم فهل كـــــان يعقـد مؤتمرا؟؟[2]

وقد كان لهذه الطبيعة الدور الكبير في صحة دين شاعرنا ولولا لضل الطريق، ويعترف بذلك شخصيًا، إذ يقول:

فلولا جمـــالك مـا صح ديني وما أن عرفت الطريق لربي...![3]

ومما تقدم نستطيع أن نقول بأنّ طبيعة الجزائر مبثوثة في "إلياذة" "مفدي زكريا"، فهي تصور لنا بطبيعة وطنه، وغرامه، وافتتانه بها، وكأنه لم ير الجمال إلاّ فيها، وما زاده تعلقًا بها هو الدور الذي قدمته أثناء الثورة من مقاومة، فهي تشبه بذلك الإنسان الجزائري الوفي لأرضه ووطنه.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:24.

(2) المصدر نفسه، ص:24.

(3) المصدر نفسه، ص:21.

وقد وظف "مفدي زكريا" معجمًا شعريًا آخر؛ وهو المعجم الثوري، وذلك من أجل التعبير عن روح التحدي لدى الجزائريين، وقوتهم، وإصرارهم على الثورة ونيل الاستقلال.

ومن هذه الألفاظ نذكر: (الفائر، الثائر، الدماء، الرصاص، جمرا، جريح، حرب، البطولات، المجازر، الصراع، حارب، فجّر، تحدي، فلا نأنف أن نهزم، تقاوم، السيوف، الرماح، نار، نأبى، جزائرنا الثائرة... وغيرها من الألفاظ.

وقد اختار الشاعر هذا المعجم الثوري كي ينقل لنا الحالة التي يعيشها الشعب الجزائري، ويصورها لنا تصويرًا كاملاً، ويعرف من خلالها المتلقي عظمة الثورة الكبرى، وعظمة شعبها.

وفعلا قد حقق هذا المعجم ما كان يصبوا إليه الشاعر؛ وهو الثورة، والتخلص من قيود السيطرة الاستعمارية، وهذا ما نجده حقًا في أبيات "الإلياذة" وخاصة في البيتين الآتيين:

نوفمبر مجري الحيـــاة، وكنت ـ نوفمبر ـ مطـــــلع فجـر!

نوفمبر جـل جلالك فينـــا ألست الذي بث فينا اليقينا؟[1]

فمن خلال هذين البيتين يبين لنا الشاعر أنّ أول نوفمبر هو يوم عظيم بالنسبة للجزائريين، بل للجزائر كلها، فهو نقطة تحول في حياتهم، فقد نقلهم من حالة خضوع واستكانة وسيطرة إلى حالة تمرد وثورة على المستذمر الفرنسي، وكأنّ نوفمبر بالنسبة للشاعر يساوي الاستقلال الوطني، وإقامة حكومة جزائرية ذات سيادة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على إيمانه العميق بالثورة، وتشبثه بالحرية.

وفي الأخير نستطيع القول بأنّ: المعجم الشعري قد تنوع في "إلياذة" الجزائر، إذ وظف الشاعر "مفدي زكريا" مفردات القرآن كرسالة عظيمة هدفها تحرير الإنسان الجزائري من قيود

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:69ـ 70.

الاستعمار والظلم والطغيان، بالإضافة إلى توظيفه الطبيعة الجزائرية التي وقفت إلى جانب الثورة منذ اندلاعها حتى الاستقلال واستخدامه أيضًا للمعجم الصوري الذي استمد ألفاظه من الواقع المعيش.

ثالثا: شعرية المطالع واللازمة:

إن القارئ للوهلة الأولى يلاحظ التكرار الموجود بين مقاطع "الإلياذة" والمتمثل في:

شغلنا الورى، وملأنا الدنـا

بشعر نرتله كـــالصــلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر

وهذا التكرار يطلق عليه باللازمة الشعرية، فهي بمثابة حلقة ربط فنية بين مقاطع "الإلياذة"، وقد كررها الشاعر مائة مرة وهي تحمل في ثناياها دلالات نفسية وانفعالية؛ أي أنّ المواجع قد ترسبت في روح الشاعر وأصبحت الآهات لا تبرح مخيلته، فعم الشعر بذلك ربوع الوطن، من أجل إعلاء كلمة الحق، وإبطال الباطل، وطرد الغزاة من الجزائر، لذا فهو ترتيل وتسبيح، لتحقيق الاستجابة مثل: دعاء المؤمن، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على عبقريته وبراعته في النظم ومقدرته اللغوية، بالإضافة إلى إيمانه وتشبعه بالدين الإسلامي.

إن تكرار هذه اللازمة الشعرية قد ساهم مساهمة كبيرة في توكيد المعنى السابق وترك الجو العام؛ أي جو البداية يطغى على كل أجزاء "الإلياذة"، كما حافظت أيضًا على الأجواء الحماسية العامة للنص، وكانت تحفظ الشاعر من حين إلى أخر أن لا يترك مجاله وأن يبقى على النفس العام لجو البطولة، كما ساعدته في تحديد النفس في كل عشرة أبيات ولا يصاب الإجهاد، وقد ساهمت أيضًا في ربط أجزاء "الإلياذة" وتماسكها ضمن دائرة إيقاعية واحدة، وكأنها قالب فني متكامل في نسق شعري متناسق، تجعل القارئ لها يحس بأنها وحدة بنائية واحدة، ووحدة موسيقية ذات إيقاع واحد غير متجدد مظهرًا، ولكنه يستبدل نكهته وطعمه الداخل في الحدث.

ويكننا أن نقول بأن اللازمة عند "مفدي زكريا" شيء حلو يتلذذ بتكراره، بالإضافة إلى أنها إحدى الأدوات الفنية الأساسية المعتمدة في "الإلياذة"، وتكرارها يحدث نوعًا من توقع القارئ للأحداث والوقائع، فيصبح شغوفًا بما سيأتي من ورائها من أحداث، فقد جعلها أداة فاعلة داخل نصه الشعري، فوظفها توظيفًا دقيقًا وأصبحت أداة جمالية تحرك نصه الشعري وتمنحه فاعلية وتأثيرًا في نفس المتلقي والمستمع، فأصبح يعيش هذه الحدث الشعري حتى وإن لم يشارك هو فيه.

كما يمكن أن نعتبرها قوة فاعلة لإيقاظ أبناء أمته، وبعث الهمة وكشف الواقع المزيف من طرف المستعمر، وكأنه بتكرار هذه اللازمة يرفض هذه الاستعمار الموجود في الجزائر، لذلك فهي وسيلة للإلحاح والتأكيد على ما في ذهنه لإصلاح الجزائر، فهو بذلك يعلي من قيمتها وشأنها.

رابعا: قوة الإيقاع:

الإيقاع في تعريفه مأخوذ من وقع اللحن أو الغناء، « وهو موسيقى ناتجة عن وسائل متعددة أهمها التكرار، تكرار كلمات معينة أو متشابهة أو حرف أو حرفين معينة متعددة المخرج أو متقاربة»[1]، فالإيقاع هو الموسيقى الناتجة عن الوحدات والألفاظ المتكررة داخل الخطاب الشعري، « فالإيقاع الشعري مرتبط بالإيقاع الموسيقى أو في الرقص فهو شيء واحد»[2].

إن الإيقاع عنصر من أهم عناصر الشعر، فهو ناظم للموسيقى داخل النص الشعري، كما هو البعد الجمالي البارز في أبيات القصيدة والسريع إلى نفوس المتلقين، « فللشعر نواحي عدة للجمال، لكن أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ وانسجام في توالي المقاطع وتردد بعضها بقدر معين، وكل هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر»[3].

لقد حفلت الإلياذة بموسيقى مشحونة تعكس تجربة الشاعر النفسية والشعورية، وهذا ما يسمى بالموسيقى الفكرية... « التي لا تحدد عن طريق بحور معينة متعارف عليها عند الشعراء، وإنما عن طريق موضوع القصيدة وحالة الشاعر النفسية»[4].

لدراسة الإيقاع في الشعر يقتضي دراسة التكرار منها تكرار القافية وتكرار الألفاظ والحروف، وحتى المحسنات البديعية، وهذا كله ضمن الإيقاع الذي يقسم إلى قسمين:

(1) يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص:294.

(2) ربيعة الكعبي: العروض والإيقاع في النظريات الحديثة للشعر العربي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2006، ص:333.

(3) يحي الشيخ صالح: المرجع السابق، ص:293.

(4) المرجع نفسه، ص:295.

1) الإيقاع الخارجي:

وهو إيقاع على الأوزان والقوافي ناتج عن تكرار التفعيلات، « فالإيقاع هو حركة الأصوات الداخلية التي تعتمد على تقطيعات البحر أو التفاعيل العروضية»[1].

فالشاعر "مفدي زكريا" في إلياذته جاء الإيقاع محدد لكنه متنوع، كما جاءت التفعيلات متكررة، لكن الإيقاع متماشيًا مع الأبيات الشعرية، وحتى الألفاظ مناسبة مع موسيقى الشعر ولأبيات القصيدة، رغم أن "مفدي زكريا" ركزّ على بحر واحد معين ورده كل مرة متماشيًا مع حالته الشعورية الداخلية، فإيقاع بحر المتقارب هو يقرب المعنى من الإصرار والتحدي وتداخل الأصوات، فأعمال وقيد الاستعمار قد عكس صوتًا يتغنى بالحرية والوطن، وعلى وزن المتقارب يأتي التحدي والإحساس بالمعاناة في قول "مفدي" في المتقارب:

فيـا أربعين وخمسا أعيـدي فضـائح جُنـد، غبـي بليـد

0/0// 0/0// 0/0// /0// 0/0// 0/0// /0// 0/0//

فعولن فعول فعولن فعولن فعول فعولن فعولن فعولن

وأثام أحـلاس جيش عميـل عديم الحيـا كضمير اليـهود

0/0// 0/0// /0// 0/0// /0// 0/0// 0/0// 0///

فعلن فعولن فعولن فعول فعولن فعول فعولن فعولن

ويا ذكريات الدمـاء الغوالـي

0/0// 0/0// /0// 0/0//

فعولن فعول فعولن فعولن

(1) عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د، ت)، ص:315.

أفيضي جلالك ملء نشيدي[1]

0/0// /0// /0// 0/0//

فعولن فعول فعول فعولن

إن استخدام البحر الواحد وهو بحر المتقارب من طرف الشاعر يأخذنا إلى استخلاص نتيجة واحدة بأن الشاعر كان بحاجة إليه ليرفع صوته في تقارب مع الصوت والإحساس المتدفق، فبحر المتقارب يشكل نسبة مئة بالمائة من نص الإلياذة، وهذا راجع لخفة وقعه وتماشيه مع المعني والألفاظ، كما أن « معروف منذ القديم بأن خفيف الوقع يلائم الحركة الدورانية السريعة، ومناسبته تقريبًا لجميع الأغراض الرشيقة الحماسية»[2].

كما أن تفعيلات بحر المتقارب فعولن فعولن، فعولن، قد أحدثت « وقعًا تناغميًا رائعًا، كما أنّ هذه الرشاقة التناغمية لوقع الموسيقى الخارجية التي يحدثها البحر يساعد الشاعر على أن يعطي النص نوعًا من الغنائية، التي تؤثر بوقعها التناغم في الأذن العربية»[3].

إنّ الانسجام الكبير الذي خلق على المستوى الإيقاعي الخارجي للأبيات أحدث للقافية إيقاعًا إنشائيًا تتقاسمه مع الوزن، فتحدث أصواتًا ناجمةً عن حرف الروي، والتي ظهرت بشكل مكرر في الإلياذة، ففي المراتب الأولى لتكرار الروي هو حرف الهاء، ثم تليها حرف الراء، وحرف السين، وحرف النون، فكل هذه الحروف جاءت لتعكس لنا حالة الشاعر ونفسيته، وهو يعتبر في حالة حماس وفخر ليشد الهمة ويؤثر في سامعيه، فقد هزّت وأطربت النفوس بصوت شجي فيه نبرة من التحدي. ومن الأمثلة لحرف الروي الراء ما يلي:

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:63.

(2) بلحيا الطاهر: تأملات في إلياذة الجزائر، ص:98.

(3) المرجع نفسه، ص:98.

تلقف رايتـــك ابن الجـزائـر وعند ابن زيان تبلـى السرائر

وهب الزعاطشـــة الثـــــائرو ن فهبّ لنصرتهم كل ثـــائر

تحدى ابن زيـــان سخف اللئـــــام، فمـــــات الشهيد فداء الجزائر

وهل يخفض ابن الجزائر هاما ويحني جبينا أمام الصراصر؟[1]

فتكرار حرف الروي الراء في الكلمات: (السرائر، ثائر، الصراصر) أدى إلى إيقاع يتسم بالتحدي، وهذا ما أحدثه حرف الراء الذي ساهم في رسم موسيقي، فهو حرف مجهور والصوت فيه يكون واضحا والنطق به يحدث تكرارًا في الصوت، فيُكون أصواتًا رنانة في أذن المستمع العربي.

أما تكرار حرف السين، فخير مثال مشهد السينية التي رثى فيها "مفدي زكريا" حوادث 08 ماي 1945م والتي مطلعها:

ولم ننس فـــي أربعين وخمس ضحايا المذابح في يوم نحس

طربن مع الحلفـــــاء اغترارا وقمنـا نصفق فـي غير عرس

فكانوا مع الغدر، عونـا علينـا ودرس لقادتنـــــا أيّ درس!

وكـــانت مجـازرهم بسطيـف وقالمة للشعب، دقـات جرس

وهزّ لسترداد شعبًـــا توانـــى وأيقظ فـي العمـق ميت حس

وعلمنا أيشياري الثنـــــايـــا فبدّد لون الدمـــــا كـلّ لُبس

وكـانت تلاحق أقلامنـــــــا سراب الضيّـاع فباءت ببخس

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:52.

وكـــــانت تكـــــافح أجزاننـا مع الـوهم، بين صراخ وهمس

فعطل صوت الرصاص اللّغى وأنطق ألسنـــة غيـــــر خرس

فقـــــامت تعبد أكبادنـــــــــا طريق التخلص من كـل رجس[1]

تكرار حرف الروي هو السين في الكلمات: نحس، عرس، درس، جرس، حس، لبس، بخس، همس، هرس، رجس، أدي إلى فرض الإيقاع الخاضع لحروف الهمس والذي يتلائم مع الأحداث من خراب، وموت، وتقتيل، وفوق ذلك حديث الحزن والشقاء ، ومن جهة أيضًا أعطي إيقاع موسيقى في أذن المستمع العربي، لأن حرف السين من الحروف الصفيرية، فتكرارها يؤدي إلى إحداث صوت صفيري في أذن المتلقي فتهزّ من نفسيته ومشاعره.

ومن هنا نستنتج أن التكرار الخارجي قد ساهم في تقوية الدلالة وبين الحالة النفسية للشاعر، فقد تحرك من خلال أفاعيل نفسه فاستطاع من خلال الأوزان والقوافي أي يشكل ويحدث إيقاعًا متناسبًا مع حالته الشعرية وتجربته الفنية، وذلك راجع إلى " الحركة النفسية الإيقاعية التي تلح عليه فتجعله ينقص من التفعيلة حركةً أو ساكنًا أو يضيف إليها ساكنًا أو حركةً وساكنًا»[2].

2) الإيقاع الداخلي:

وهو ناتج عن تكرار الألفاظ وتكرار الحروف وتكرار بعض الأساليب؛ كالاستفهام والنداء، بالإضافة إلى المحسنات البديعية، فلا معنى لإيقاع خارجي دون إيقاع داخلي، ففي الإيقاع الداخلي تتكرر الحروف فتشكل لنا موسيقى داخلية في النص الشعري، وهو إيقاع يؤثر في المتلقي.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:62.

(2) عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، ص:317.

فبداية مع تكرار الألفاظ والتي تكررت كثيرًا في "الإلياذة" والتي عكست التجربة الفنية للشاعر وحالته الداخلية، فالتكرار يحمل بعدًا صوتيًا والذي يتجلى في الخطاب الشعري، كما هو عنصر إيقاعي بالدرجة وجرس موسيقى يترك أثرًا في نفس المتلقي، فموسيقى الشعر وظيفتها « إعداد المستمع نفسيًا لولوج عالم القصيدة، بحيث تضع المستمع في جو القصيدة وموضوعها، مما يساعده على تحليلها وتفهمها فكريًا، وعلى معايشة الشاعر شعوريًا»[1].

وهذا ما وجدناه في "الإلياذة" من خلال التكرارات التي تحدث الموسيقى والإيقاع الداخلي ومن بينها تكرار الألفاظ، فلفظة "الجزائر" قد وردت أكثر من مئة مرة، وهذا دليل أن الشاعر أكثر تمسكًا وتعلقًا بوطنه وأكثر إعجابًا بجماله وروعته، فكما هي موطن المعجزات ولتحديات، فهو موطن الحسن والبهاء والجمال.

كما وردت لفظة "الجمال" أكثر من عشرين مرة، فالشاعر أراد أنّ يصور لنا الجانب الجمالي للجزائر، فيثير جانب الدهشة والانفعال، فقد أنشد في جمال الجزائر بكثرة، فهي الجمال وهي التي تسكب الجمال، فيقول ـ مفدي زكريا ـ فيها:

جزائر يـــا حكـــــــاية حبي ويا من حملت الســـلام لقلبي

ويا من سكبت الجمال بروحي ويا من أشعت الضيـاء بدربي

فلولا جمالك مـــا صحّ دينـي وما أن عرفت الطريق لربّي...! [2]

إن هذا الجانب التكراري يدل على أن "مفدي زكريا" مفتتن بجمال الجزائر، لذلك صوّرها بأحسن صورة وأحلى حلة، وكذا التعلق الشديد للشاعر بوطنه دليل على الحب الكبير له، فأحسن في وصفها من خلال الجوانب التكرارية، فتكرار لفظة "الجمال" كانت لها « فائدة

(1) يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص:297.

(2) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:17.

صوتية ونغمية، فاللفظة مكونة من أصوات يكون في تكرارها ترديد للأصوات ذاتها، فيساعد ذلك على خلق جو نعمي لا ينفصل عن المعنى»[1].

فقد ساعد هذا التكرار على تقوية المعنى والدلالة، كما صنع موسيقى، وجو نغمي تماشى مع أحاسيس الشاعر العميق، فكانت الجزائر هي الكلمة المفتاحية، كيف لا وهي الثورة بكاملها.

وقد تكررت كلمة الثورة أكثر من ست مرات، وهذا ما عرفته الجزائر في السابق، كما عاشت ثورة حقيقية، ثورة شعب مناضل ومكافح، وقدم أبناؤها تضحيات جمة من أجل رفع راية الجزائر، وهذا ما جاء في قول "مفدي":

ويا ثورة حار فيها الزمـــان وفي شعبها الهـــادي الثائر

ويا وحدة صهرتنـا الخطـــو ب فقامت على دمها الفـائر[2]

فالشاعر عمد إلى تكرار الألفاظ نفسها بفضل انتقائه لها وجعلها تتماشي مع إيقاع الحروف، فخلق لنا إيقاعًا صوتيًا مناسب لتكرار الألفاظ، فشكل لنا موسيقى داخلية تطرب سامعها، فمعروف أن « الإيقاع الصوتي هو التلوين الصوتي الصادر عن الألفاظ المستعملة»[3]، فالتكرار هنا خلق لنا نوع من التناغم وطبع جو من الموسيقي وقد عرفت القصيدة بتكرار كثيف الألفاظ والتي أفرزت هده الأخيرة دلالة نفسية تماشت مع التجربة الشعرية لمفدي زكريا والتي عبرت عن وطنه وحبه لبلاده ودينه وتعبيرها على غدٍ أفضل، فكل لفظة كان لها وقعها الخاص في "الإلياذة"، فعبرت عن عدة جوانب وعن أسرار وأسرار، فكان لهذه الألفاظ إيقاع خاص بكل ناحية من نواحي القصيدة.

(1) عهود عبد العكيلي: الصورة الشعرية عند ذي الرمة، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص:237.

(2) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:16.

(3) عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية، ص:315.

فكما كان للألفاظ إيقاع خاص كانت للحروف إيقاعات خاصة، فتكرار الحروف ساهم في بناء نص "الإلياذة ومنها حروف الجر وحروف العطف، فأدى هذا التكرار إلى ربط وانسجام وثيق بين الأبيات، ومن الحروف المكررة حرف "الواو" الذي جاء لتكرار الجوانب الجمالية للجزائر في قوله:

جزائر يا بدعة الفاطر ويا روعة الصانع القادر

ويا بابل السحر من وحيها تلقب هارون بالساحر

ويا جنة غار منها الجنان وأشعله الغيب بالحاضر

ويا لجة يستحم فيها الجما ل ويسبح في موجها الكافر

ويا ومضة الحب في خاطري واشراقة الوحي للشاعر[1]

فالشاعر أراد أن يعبّر عن مشاعره في كل المفردات فاستعان لربطها بالواو، فجاءت العواطف متسلسلة ومتتابعة، فأخذ يصف ذلك الجمال بإعجاب شديد من خلال بث صور حية وإيحائية تترك في المتلقي الرغبة الكبيرة في الإطلاع على هذا الجمال واكتشاف أسراره، فقد عمل حرف "الواو" على ربط المشاعر، فكان الخطاب قويًا مشحونًا بالدلالات والصور.

ومن الحروف المكررة أيضًا حرف "الفاء" الذي يدل على الترتيب والتعقيب، وقد التصقت بالكلمات وقد وردت في قول "مفدي":

ويا تربة تاه فيها الجلال فتاهت بها القمم الشامخات

وألقى النهاية فيها الجمال فهمنا بأسرارها الفاتنات

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:16.

وأهوى على قدميها الزمـــان فأهوى على قدميها الطغـــاة[1]

فهذه "الفاء" قد عملت على ربط المعاني بعضها ببعض، فالتصقت بالأفعال وعملت على خلق نغمة محددة وربط أحاسيس الشاعر، فعطفتها كما عطفت الكلمات وتماشت العاصفة مع الموسيقى، كما جاء التكرار أيضًا في بعض المقطوعات الشعرية كحالة خاصة لتوكيد المعنى وتقويته وإعطائه جمال فني، وعلى سبيل المثال اللازمة المكررة مائة مرة، « فاللازمة حافظت على الأجواء الحماسية العامة للنص وكانت تحفظ الشاعر من حين إلى أخر على أن لا يترك مجاله»[2].

وقد وردت في قول "مفدي":

شغلنا الورى وملأنا الدُّنـــا

بشعر نرتلـه كالصـــــلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر[3]

فجاءت اللازمة مصاحبة، لكل مقطع، فصاحبتها الأصوات الداخلية فعكست بذلك تجربة الشاعر، فتكرارها زاد المعنى قوة ودلالة مع إيقاع مناسب لهذا الحس المرهف، كما جاء هذا التكرار « لتوكيد المعنى وإعطائه صبغة فنية... كما جاءت اللازمة لتبقي على النفس العام لجو البطولة، فهذا الإيقاع المكرر "شغلنا الورى وملأنا الدنا" هو إيقاع غير متجدد مظهرًا، ولكنه يستبدل نكهته وطعمه الداخل في عمق الحدث كلما تبدل الجو باستلحاق الصور الورائية الآتية لترميز والواقع كما كان»[4].

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:15.
(2) بلحيا الطاهر: تأملات في إلياذة الجزائر، ص:99.
(3) مفدي زكريا: المصدر السابق، ص:18.
(4) بلحيا الطاهر: المرجع السابق، ص:99.

فاللازمة رغم تكررها مائة مرة إلا أنها تستبدل طعمها في كل مقطوعة شعرية، فتحسس المتلقي أنها غير متجددة ولكن هي في الداخل إيقاع متغير مع الحدث، فتثير في السامع رنينًا طربيًا وكذا الدهشة والانفعال، كما تؤكد على المعنى وتزيده جمالاً وتشكل للمتلقي صوتًا واضحًا صاخبًا، كما ساعدت اللازمة في تقوية المعنى وتوكيده ساهمت المحسنات البديعية في تكوين التناغم الموسيقى داخل الأبيات ومن بين هذه المحسنات: الطباق والجناس، فتكراره يحدث إيقاعًا وموسيقى مشحونة أطربت سامعيها، بالإضافة إلى تقوية المعنى وتأكيده.

فالجناس عنصر من أهم عناصر البنية الإيقاعية وهو " تشابه الكلمتين في النطق واختلافهما في المعنى، هو نوع من أنواع البديع اللفظي... قد يكون تامًا وقد يكون ناقصًا»[1]. وقد ورد التجانس في الألفاظ في قول "مفدي":

سل الأطلس الفرد عن جرجرا تتعالى يشد السمـــــا بالثرى!

فيختـــــال كبــر تنافســه تغجدا فـــــلا يرجع القهقرى

وتسمــو بـأوراس أمجـــــاده فتصدع في الكون هذا الورى

أمـــــا وحـــد الأطلس المغـــــربي معاقلنـــا بوثيق العـــرى..[2]

فالكلمات (الثرى، القهقرى، الورى، العرى) أعطت تجانسًا فيما بينها، من خلال التقارب في النطق، فأعطى هذا بعدًا جماليًا وصوتيًا، فساهم في تكوين إيقاع داخلي من خلال تردد الأصوات على مستوى الأبيات.

ومن الألفاظ المتجانسة في "الإلياذة التي حفلت بها، والتي ساعدت في بنائها ووضع موسيقاها قول "مفدي":

(1) عهود عبد الواحد العكيلي: الصورة الشعرية عند ذي الرمة، ص:244.

(2) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:20.

بلادي، أحبك فوق الظنون، وأشدو بحبك في كل نادي

عشقت لأجلك كلّ جميل وهمت لأجلك في كل الوادي[1]

وفي هذه الأبيات يتضح تجانس اللفظتين (نادي، وادي)ن فقد ترددت أصواتها في البيتين فطبعت موسيقى مناسبة فاكسبها رونقًا وجمالاً، فالجناس « فيه تتردد الأصوات في الكلام يتبعها إيقاع موسيقي، تطرب له الأذان وتستمتع به الأسماع»[2].

فالجناس يشكل ويطلق تناغمات موسيقية، كما يولد « نغمًا لتسابه الأصوات في الألفاظ المتجانسة وفي الوقت ذاته تفاجئ هذه الألفاظ ذهن المتلقي بما يحمله من معانٍ متباينة»[3].

يقول "مفدي زكريا":

وأهوى على قدميها الزمان فأهوى على قدميها الطغاة[4]

الجناس هنا "أهوى فأهوى" أحدث تناغما موسيقيًا داخليًا من خلال تفجير المعنى الجميل بواسطة الكلمة، فأهوى الأول لفظة رقيقة عذبة ناما أهوى الثانية فقد حملها نقيض الأولى لاستقامة المعنى.

ومن المحسنات الأخرى "الطباق" الذي التمسناه في أبيات الإلياذة، فقد ساهم في تقوية المعنى وحمل موسيقى قوية من خلال تضاد المفردات، ومعروف أن "الطباق" هو « الجمع بين الشيء وضده في الكلام»[5].

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:33.

(2) عهود عبد الواحد العكيلي: الصورة الشعرية عند ذي الرمة، ص:245.

(3) المرجع نفسه، ص:245.

(4) مفدي زكريا: المصدر السابق، ص:15.

(5) السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط6، ص:319.

فالطباق جمع بين لفظة وأخرى وأحدث تكراره خلق دلالات قوية وإيقاعات داخلية رنانة، ومنها ما يقول فيه الشاعر:

فتبيض صفحـة إفريقيـــــا ويسود وجه المغير الجبان[1]

فمفردتا (تبيض، يسود) طباق إيجاب، ساهم في تشكيل موسيقى داخلية للبيت تثير في نفسية المتلقي وأحاسيسه الداخلية.

لقد زخرت "الإلياذة" بالكثير من الطباقات المتمثلة في المفردات التالية (سلام، حرب)، (حلوا، مرا)، (تباع، تشترى) وغيرها من الطباقات التي ساهمت في بناء القصيدة وتشكيل إيقاع داخلي، فالبديع قد شارك في تشكيل الموسيقى الداخلية لإلياذة، وكلها تكرارات ساهمت في بناء الخطاب الشعري، وأعطت دلالات معينة، ولطالما كان البديع إيقاع، وهذا الأخير خادمًا للنص الشعري.

ومن خلال هذا نلاحظ بأن الشاعر "مفدي زكريا" له مهارات فنية عالية، بحيث نسق بين البديع من محسنات بديعية كالطباق والجناس مع أبيات "الإلياذة" ومعانيها المختلفة وهذا ما « يتطلب من الأديب مهارة وبراعة لا يقدر عليها إلا من وهب حاسة مرهفة في التذوق الموسيقى للفظة»[2]، وهذا ما أظهره "مفدي زكريا" من مهارات عالية، فأضحي الإيقاع من الخصائص المميزة للنص الشعري الذي لا استغناء عنه، لا عن معناه ولا عن موسيقاه باعتبار الشعر لا يقوم إلا على الوزن، فالكلمات موزونة، والموسيقى مضبوطة.

وهذا ما عرفته "إلياذة الجزائر" لمفدي زكريا التي أظهرت لنا مدى قوة إيقاعها العالي، من حيث الإيقاع الداخلي أو الإيقاع الخارجي اللذان ظهرا بقوة في أبيات النص الشعري المعروف بالإلياذة.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:114.

(2) عهود عبد الواحد العكيلي: الصورة الشعرية عند ذي الرمة، ص:245.

خامسا: الصورة والرمز:

1) الصورة الشعرية:

إنّ الصورة من أبرز وسائل التصوير الفنية التي تؤثر في ذهن المتلقي، فهي خروج عن المعنى العادي أكثر عمقًا وتأثيرًا في النفوس، فهي « مجموعة علاقات لغوية يخلقها الشاعر لكي تعبر عن رؤياه الخاصة، وذلك لعجز اللغة العادية المبنية على التجريد والتعميم»[1]، فاللغة العادية عاجزة عن التعبير الذهني والفكري للشاعر، فيتخذ من الصورة مخرجًا ووسيلة لإيصال أفكاره للمتلقي؛ باعتبارها « إبداع ذهني، لأنها تعتمد أساسًا على مخيلة الشاعر»[2]، فتكسب الصورة بعدًا إيحائيًا يسهم في إثراء النص، وإغناء الأسلوب، فإذا خلت القصيدة من هذا التصوير تصبح جافة وغير مؤثرة، فنرى أن استعمال الشاعر لصور البيانية في "الإلياذة" كان بشكل مكثف وملفت للنظر، فقد نوّع "مفدي" ما بين التشبيه والاستعارة والكناية، فعملنا على استخراج البعض منها، وفي مقدمتهم التشبيه؛ باعتباره « أسلوب من الأساليب البيانية الواسعة الميدان، تتبارى فيه قرائح الشعراء والبلغاء وعن طريقه تظهر القدرة على تمثيل المعاني والتعبير عنها بصور رائعة»[3].

وقد ورد التشبيه في قول "مفدي":

وأبطالنا في صراع الأراضي

كأبطالنا في صراع المنايـــا[4]

(1) محمد علي الكندي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2003، ص:27.

(2) يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص:318.

(3) عهود عبد الواحد العكيلي: الصورة الشعرية عند ذي الرمة، ص:97.

(4) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:84.

وهو تشبيه ضمني، حيث شبه صورة الفلاحين وهم يصارعون لاسترجاع أراضيهم التي سلبت منهم بصورة الأبطال المقاومين والثوار في صراع مع المستعمر وخوض الحروب والنضال حتى الموت.

ويقول أيضًا:

ويفتخـــرون بشـــــرب الخمـــــو ر وفي الكأس ترسب كل البلايا

فهم يرقصون كطيـــر ذبيـــــح ولا يحفلـون بركب المنـــــايـــا[1]

وقد شبه المستهترون الذين انحلت أخلاقهم وهم يفتخرون بشرب الخمور ويشيعون الخبائث بالطير الذبيح الذي يتخبط مصارعًا الموت، فهم يتخبطون في عالمهم الخاص، وهم كالجبناء يخافون ركب المنايا، والتشبيه كان قويًا زاد المعنى عمقًا وتأثيرًا.

فالخطاب الشعري عادة ما يكون بلغة مشحونة بالتصوير و"مفدي زكريا" أراد أن يوصل خطابه بلغة عجت بالصور والخيال، فالتشبيه « يكشف قدرة الأديب على الخلق والإبداع وسعة عقله، وفيه يتضح خصب خيال المبدع وعمقه»[2].

فالتشبيه يخلق لنا الإبداع ويبث الجمالية في النص، لذلك وظفه الشاعر بكثرة في النص الشعري، فقد عمل التشبيه على تفجير طاقة اللغة من خلال تمثيله للمعنى وشحن الخطاب مع إطفاء الجمالية عليه.

كذلك وردت الاستعارات في "الإلياذة" بكثرة، فأصبح كل الخطاب عبارة عن لغة تصويرية، وذلك للتأثير في المتلقي وجعله يسافر إلى عالم الأخيلة، وباعتبار الاستعارة أهم وسائل التصوير وأبرز طرق التعبير غير المباشرة القائمة على التخيل والإيحاء، كونه استعمال اللفظة في غير معناها الذي وضعت له ووضعه في استعمال جديد.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:94.

(2) عهود محمد الواحد العكيلي: الصورة الشعرية عند ذي الرمة، ص:97.

وقد وردت الاستعارة في قول "مفدي":

وتغزو السيــاسة فكـر الزعيـم فيصبح فكر الزعيم بليـــــدا[1]

فلاستعارة هنا تتمثل في "تغزو السياسة"، وهي استعارة مكنية، فالشاعر هنا شبه السياسة وهي معنوي يدرك بالعقل بشيء محسوس مادي وهو الإنسان، لأن فعل الغزو ينسب للإنسان.

وقوله أيضًا:

شربت العقيـدة، حتى الثمــالة فأسلمت وهي لرب الجـلالـــة[2]

وهنا استعارة في قوله "شربت العقيدة"، حيث شبه الشاعر العقيدة بشيء سائل كالماء ونحوه، ليؤكد على مدى تمسكه العميق وتشبعه بالدين الإسلامي، حيث حذف المشبه به وهو الماء وأبقى على لازمة من لوازمه وهي "شربت" على سبيل الاستعارة المكنية.

وقوله أيضًا:

ومن ألبسو الحق حقدًا دفينـــا وألقى الصليب عليهم ظــلالا[3]

وهناك استعارة في قوله "ألبسو الحق"، حيث شبه الشاعر الحق بالإنسان الذي يلبس ثوبًا أو غيره، حيث حذف المشبه به وهو الإنسان وترك لنا قرينة تدل عليه وهي "ألبسو"ليصور لنا المستشرفين غير المصفين للثقافة العربية والذين يضللون ويزيفون الحقائق. فالاستعارة وسيلة وأداة من أعظم الأدوات الشعرية التي تساهم في تشكل الصورة الشعرية التي ترسم لنا الأحاسيس الداخلية، فهي " وسيلة في تشكيل الصورة الشعرية

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:61.
(2) المصدر نفسه، ص:85.
(3) المصدر نفسه، ص:98.

المصنوعة صناعة فنية دقيقة، تدل على أنه جعلها مقومًا أساسيًا من مقومات الصناعة الفنية»[1].

فإذا كانت الاستعارة قوية مؤثرة، فالكناية أيضًا قامت بدورها في النص الشعري لمفدي زكريا، فزادت الخطاب قوة ودلالة، باعتبارها من « المجاز لأن هذا النوع من التعبير تحمل ألفاظه معنيين؛ أحدهما تؤديه ظاهر الألفاظ وهذا المعنى ليس مقصودًا، والأخر المعنى البعيد الذي تهدي إليه دلالة الألفاظ اللغوية الظاهرة، وهو المعنى المقصود»[2].

ومن الكنايات التي وردت في الخطاب الشعري لمفدي زكريا قوله:

ولم تختطفه مراهقـــــة ثقافية ضلّ عنها الفطـام[3]

والكناية متمثلة في قوله: "مراهقة ثقافية" وهي كناية عن الطيش الذهني والنزق الفكري واسطحية وعدم استبيان الحقيقة، وقد زادت من قوة الخطاب، فلها قيمة فنية مميزة تساهم في توضيح المعنى وتوكيده.

ومن الكنايات قوله:

ولم تجد فيه معـاول هدم يصوبهـا دارس الانهـزام[4]

فالكناية هنا تتمثل في "دارس الانهزام" وهي كناية عن بعض المدرسين الدكاترة الذين ينشرون الضلالات والأفكار المنحرفة في عقول الأغرار رغمًا، فزادت من دلالة الخطاب وصورته بطريقة احترافية تجعل متلقيها يعمل عقله وكل طاقاته للوصول إلى الدلالة المقصودة، باعتبار الكناية « تبرز المعاني المعقولة في صورة المحسنات، وبذلك تكشف عن

(1) عهود عبد الواحد العكيلي: الصورة الشعرية عند ذي الرمة، ص:123.
(2) المرجع نفسه، ص:146.
(3) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:105.
(4) المصدر نفسه، ص:105.

معانيها وتوضحها وتبينها وتحدث انفعال الإعجاب باعتباره انفعالاً تعجز اللغة العادية عن تصويره»[1].

فمن خلال ما ورد نلحظ أن "مفدي زكريا" قد ركب "الإلياذة" بمجموعة من الصور، فجاء خطابه ليصور لنا حالته الشعرية وحالة الأمة كافة، لذلك فهو لا يستطيع الاستغناء عن الصورة.

إذن فاللغة مثلت جانبًا من الجوانب الجمالية للخطاب الشعر، من خلال نسج الألفاظ وترابطها مع بعضها البعض، حتى شكلت لنا صور أفرزت لنا جماليةً ورونقًا في "إلياذة" الجزائر، وباعتبار « الصورة هي من القصيدة كالقلب النابض من جسم الإنسان، فإن اشتملت القصيدة على صور عدة، فإن هده الصور ليست متنافرة أو مشتتة، وإنما تتحرك جميعًا في نسق واحد وخط مرسوم تفضي إلى احتواء فكرة دفعها المبدع بعد أن حوّلها عن ظاهرة ما»[2].

2) الرمز:

لقد زخمت "إلياذة الجزائر" بالصور التي ساهمت في بنائها، كما زخمت بالرموز التي وظفها "مفدي زكريا" بكثرة في نصه الشعري، فهي من الأدوات الفنية التي اعتمد عليها الشاعر للتعبير عن تجاربه ومكنوناته، « فالرمز الشعري مرتبط كل لارتباط بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر والتي تمنح الأشياء مغزى خاصًا»[3].

وما ورد في "إلياذة الجزائر" من رموز كثيرة منها رموز شخصية وتراثية ودينية، في قول "مفدي":

(1) عهود عبد الواحد العكيلي: الصورة الشعرية عند ذي الرمة، ص:146.
(2) محمد علي كندي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ص:48.
(3) المرجع نفسه، ص:57.

جزائر يـــا مطلع المعجـــزات ويـــا حجة الله فـــي الكـائنـات

ويـــــا بسمة الرب فـــي أرضه ويا وجهة الضـــاحك القسمات[1]

وفي هذه الوهلة الأولى يضعنا الشاعر أمام صورة الجزائر والتي جاءت لفظة الجزائر رمزًا للوطن الحبيب، الذي يصفه بطبيعته وجماله.

وفيها يقول أيضًا:

سل البحر والزورق المستهـــا م كأن مجاديفه قلب شاعـر..

تبـاركـــــه أم إفريقيـــــــــا على صلوات العذارى السواحر[2]

فلفظة "أم إفريقيا" عند "مفدي زكريا" هي رمز للعاصمة الجزائر وعروس لإفريقيا، وهنا الشاعر وظف هذا الرمز بطريقة إيحائية تثير في المتلقي الدهشة، وإعمال العقل لوصوله للمغزى المناسب لها، « فالرمز يعتمد الإيحاء والإثارة ويقوم على علاقات خاصة، ليست حسية مباشرة، فالعلاقات فيه علاقة ذاتية تتجلى فيها الصلة بين الذات والأشياء»[3].

ومن الرموز الخاصة إلى رموز شخصيات والتي تمثلها شخصيات بطولية وتاريخية وأسطورية، وهذا النوع من الرموز يطلق عليه الرموز التاريخية أو التراثية وهو « رمز يتداوله غير واحد من الشعراء، مستلهمين جوانبه التراثية وطاقات إيحائه الكامنة فيه»[4].

ومن بين ما وظف "مفدي زكريا" للشخصيات التراثية التاريخية ما يلي:

دعوا ماسينيسا يردد صدانـــا ذروه يخلّـــد زكـــى دمـــانـــا

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:15.

(2) المصدر نفسه، ص:19.

(3) محمد علي كندي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ص:53.

(4) يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص:336.

وخلو سفاكس يحكـي لرومـــا مدى الدهر كيف كسبنا الرهانا[1]

يستهل الشاعر كلامه بالقائد "ماسينيسا" الذي يعد رمزًا للبداية الفعلية لإحقاق العدالة الاجتماعية والأمان، وهذا ما فعله شهداء ثورة الجزائر الذين قاموا بإعلاء راية هذا الوطن، كما يفتخر بأبطال الثورة الجزائرية ويذكرهم على شكل رمز من رموز الوطن.

ومن بين ما جاء في ذكر رموز الوطن التاريخية ما يقول "مفدي":

تحدى ابن زيـان سخف اللّئـــام، فمـات الشهيد فداء الجـــزائـر[2]

فالشاعر وظف للقائد الزعيم "عبد الرحمن ابن زيان" رمزًا إلى التحدي والشجاعة، وهذا لعظمة شخصية "ابن زيان" التي عرفت بالتحدي في النضال والشجاعة في كفاح المستعمر، وعرف هذا الرمز من خلال هذه الشخصية مكانة عند الشاعر، باعتبار « الرمز شيء يعتبر ممثلاً لشيء أخر»[3]، فاسم "ابن زيان" مثل التحدي والنضال في ثورة الجزائر.

كما جاء في النص الشعري لمفدي زكريا رموزًا دينية والذي عرف هذا النوع من الرموز باتسامه « بالوضوح لأنه يملك من الشيوع والتداول ما يجعله ماثلا في الوجدان العام»[4].

فورد ذكر الشخصيات الدينية في نص "مفدي" كالآتي:

وتغضب عيسى المسيح، وتبكي علـــى جذع نخلتهـــا مريمـــا[5]

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:35.
(2) المصدر نفسه، ص:52.
(3) محمد علي كندي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ص:52.
(4) يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص:336.
(5) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:101.

فقد أضف "مفدي زكريا" الأسلوب الرمزي في أبيات، وهذا من خلال توظيفه للشخصيات، كما جاء في هذا البيت "فعيسى المسيح" يرمز للنقاء والسمو والتسامح والأصالة، أما مريم العذراء ترمز للعفة والطهر، وهي مثال المرأة الطاهرة البعيدة عن الزيف.

ويتابع "مفدي زكريا" في أبياته باستخدام أسلوب الرمز فيقول:

فيخجل هـامـان مـن صرحه ويعجز أن يبـلغ المشتهـى[1]

فشخصية "هامان" هي رمز العظمة والشموخ والجبروت، لبناءه لفرعون صرحًا عظيمًا، وهذا ليبلغ السماء.

أولئك آبـاؤنـا منـذ عيسـى وكان محمدا صهرًا لـعيسـى[2]

فمحمد صلى الله عليه وسلم رمز النور والصدق وجلاء الخير على أمته.

كما يقول أيضًا:

كـأنك تصغـي بهـا للخليـ ل وموسى الكليم يرتل صحفا[3]

"فموسى" رمز لانتصار الحق على الباطل رغم الجبروت والاضطهاد، أما الخليل وهو إبراهيم عليه السلام يرمز إلى الفداء والتضحية في سبيل الدين والعقيدة.

ومن خلال هده الأمثلة التي استخرجناها، نلحظ أن "مفدي زكريا" وظف الكثير من الرموز في نصه الشعري وهذا من خلال وظيفته المتمثلة في « التعبير عن التجارب والشعور

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:28.

(2) المصدر نفسه، ص:38.

(3) المصدر نفسه، ص:58.

بطريقة فنية تعتمد الإيحاء وإلقاء الظّلال الذي يثير في المتلقي الدهشة ومحاولة البحث عن المعنى الحقيقي لهذا الترميز، فيثير جمالية فنية في الخطاب الشعري»[1].

(1) يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص:335.

سادسا: التناص واستحضار الشخصيات:

1) التناص:

لقد زخرت إلياذة الجزائر بعدة أدوات فنية وجمالية ساهمت في بناء النص الشعري وإعطائه صبغة جمالية أدت إلى تميز أبيات الإلياذة عن غيرها من الأشعار، ومن بين هذه الأدوات ظاهرة التناص المعروفة « بتعالق واستدعاء مجموعة من النصوص يتلاقى سابقها بلاحقها في جدلية تعيد إنتاج كل منها»[1]، فالتناص هو التقاء نص مع آخر لينصهرا ويكونان لنا إنتاج جديد وإبداع أكثر جمالية، وهذا ما نلحظه في "إلياذة الجزائر" لمفدي زكريا التي عرفت هذا الفن الجمالي، كما احتل التناص مكانة في النص الشعري وهذا ما يبين تعدده وتنوعه في قصائد "الإلياذة" والمتمثلة في التناص من القرآن الكريم ومن التاريخ والأساطير.

أ) التناص من القرآن الكريم:

مما لا شك فيه أنّ القرآن الكريم يحتل الصادرة في شعر "مفدي زكريا" بما يحمله من قداسية ومكانة، وتبرز الأمثلة التالية صور النص القرآني التي تجلت في المجموعات الشعرية التالية:

وسبـح لله مـــا فـــي السمـــــــا وات إن الأرض ملء شفائف شفا[2]

وشفا هنا هو اسم لجبال بالجزائر المعروفة بالشفائف وهو جمع شفة، وهو مستعمل مثل: (شفاه)، فجبال شفة في نظر الشاعر وبكل ما يحتويه من شفائف تسبّح لله مثلها مثل

(1) حافظ المغربي: أشكال التناص وتحولات الخطاب الشعري المعاصر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2010، ص:179.

(2) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:30.

باقي المخلوقات على وجه الأرض وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وسبّح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾[1].

إن "مفدي" إذا أراد تقديس شيء رفعه إلى منزلة القرآن الكريم مثل "ميزاب" التي يقول فيها:

ويحفظ ميــزاب لــوح الجـــلا ل فيصبح ميزاب في اللوح حرفا[2]

وما يفهم من هذا البيت الشعري هو أن "ميزاب" عند "مفدي" مقدسة قداسة القرآن الكريم، فهي في لوح الجلال المحفوظ، كما حفظ القرآن الكريم، فلا يستطيع أي أحد تغييره أو تحريفه، وهذا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾[3].

كما شبه الجزائر بالجنات الخضراء والناس فيها ينتظرون نصر الله فقال:

وفــي قدس جناتنــا النـــاضرة وجـــوه إلـــى ربهـــا نـــاظرة[4]

إن الشعب الجزائري الذي كله خير وإيمان بالله ووحدانيته يجعله محبًا لأرضه ووطنه رافضًا العبودية إلا لله عز وجل، وهذا ما نلتمسه عند "مفدي" من خلال تغنيه بشعبه وجمال وطنه، فطبيعة الجزائر الناضرة الخضراء ذات المناظر الخلابة حسب "مفدي زكريا" تشبه في جمالها وبهائها وجوه أهل الجنة في نظرتها إلى خالقها، وهذا ما تعبر عنه الآية الكريمة. قال تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾[5].

إن عظمة ليلة الفاتح من نوفمبر شبهها الشاعر بعظمة ليلة القدر في قول مفدي:

(1) سورة الحشر: الآية:11.
(2) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:30.
(3) سورة البروج، الآية:21ـ 22.
(4) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر ، ص:42.
(5) سورة القيامة، الآية:22.

تـــأذن ربــك ليــلة قـــدر وألقى السّتار على ألف شهر

وقال له الشعب أمرك ربّــي! وقال له الرّبّ: أمرك أمري!![1]

إنّ ليلة القدر كانت من أعظم الأحداث في تاريخ البشرية، فقد نزل القرآن في هذه الليلة، ليغير مجرى الحياة الإنسانية ليخرجها من ظلام الجاهلية إلى نور السلام، ومن ثمة تمسك "مفدي" بصورة ليلة القدر للتعبير والإفصاح عن الثورة العظيمة، وهي كليلة القدر بالنسبة للشعب الجزائري.

قال تعالى: ﴿ إنّا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام هي حتى مطلع الفجر﴾[2].

كما نجد "مفدي" يصور لنا عملية استخراج البترول فقال:

وأخرجـت الأرض أثقـــــالهــا فطار بها العلم... فوق الخيال...[3]

فمفدي يقصد بهده العبارة (أخرجت الأرض أثقالها)، هو خروج الغاز والبترول من باطن الأرض، كما يخرج الناس من القبور يوم البعث، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها﴾[4].

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:65.

(2) سورة القدر، الآية:01- 05.

(3) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:32.

(4) سورة الزلزلة، الآية:01- 02- 03.

ب) التناص من التاريخ:

إنّ التاريخ يعد جوهر الحقيقة وعينها، فهو يعتبر المادة الأولية التي يرتحل منها الشعراء أعمالهم وصورهم، ومن خلالها يقوم الشاعر بربطها بالماضي وبتاريخ الأمم، وهذا باستنطاق الأعلام والشخصيات التي تعمل على تحريك الوقائع والأحداث، ونحسب أن "مفدي زكريا" يمتاز من بين الشعراء الجزائريين بهذا النوع من التصوير، وهذا من خلال الملكة القوية التي يمتلكها في توليد الأخيلة من الوقائع والأحداث والأماكن، ومن الأمثلة الآتية تؤكد ما ذكرناه سابقًا.

يقول "مفدي":

دعوا ما سينيسا يردد صدانا دروه يخلـــد زكـــى دمانـــا
وخلوا سفاكس يحكي لروما مدى الدهر كيف كسبنا الرهانا
وكيف غدا ظافرا ماسينيســـا بزامة لم يرض فيهـــا الهوانـــا
وكم ساوموه، فثـــار إبـــاء وأقسم أن لايعيـــش جبانـــا
وألهمه الحب نيل المعـــاني وقد كان ـ مثلي ـ يهوى الحسانا...
ومن صنعت روحه سوفونيزيا جديـــر بـأن يتحـــدى الزمانـا
تغديـه حبـا وفنـــا وعلمـــا وتنبيه مـــا قد يكون، وكانـــا[1]

إن "مفدي زكريا" في هذه الأبيات نراه أنه خلّد هذه الشخصيات الحاملة لقاموس التاريخ الجزائري والتي ساهمت أيضًا في صنعه، فمن خلال اللغة القوية للشاعر في هذه القصيدة

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:35.

تجعلنا نتمنى عودة "ماسينيسا" بحياته المليئة بالحب والفن والعلم، وماسينيسا هو ابن غاد الملك الأمازيغي ولد سنه 238 ق.م، حينما كانت الحروب البونيقية على قدم وساق، وكان الملك الأمازيغي "صفاقص"مواليًا للرومانيين فنهض "ماسينيسا" يحارب الرومانيين وصفاقص معا. وكان مصدر إلهام "ماسينيسا" زوجته العالمة الموسيقارة والفيلسوفة المؤرخة القرطاجية القسية "سوفونيزيا"، فأعانه ذلك على إقامة إمبراطورية في نوميديا وجزء كبير من التراب االتونسي، وأجلى الرومان عن مملكته وبعد مرور مدة زمنية حاول الرومان أن يجعلوا "ماسينيسا" في صفهم، لكنه أبى واستمر في الدفاع عن وطنه وكوّن إمبراطورية قوية.

كما يفتخر الشاعر في هذه الأبيات بعروبته ودينه فيقول:

وهبنا العروبة جنسيا ودينيا وإنّا بما قد وهبنا رضينا

إذا كان هذا يوحد صفا ويجمع شملا رفعنا جبينا

وإن كان يعرب يرضى الهوا ن ويلبس عارا... أسأنا الظنونا

وقلنا كُسيلةُ كان مصيبا وكاهنة الحيّ أعلم منّا![1]

إن "مفدي" في هذه الأبيات يلمح إلى "عقبة بن نافع" دفين قرية سيدي عقبة، قائد الزحف الأكبر في فتوحات إفريقيا واضع الخطة الجديدة في زحف الجيش الفاتح في طريقه من مصر إلى المغرب، حيث أسس عقبة "مراحل" على طول الطريق مزودة بالماء والزاد والمخيمات، فإذا وصلها الجيش استراح وغسل وأكل وشرب ونام، وانتقل إلى التي بعدها على أتم وأوفر عدة.

كما يفتخر بأبطال التاريخ الجزائري:

تلقف رايتك ابن الجزائر وعند ابن ريان تبلى السرائر

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:39.

وهب الزعـــاطشة الثـــــائرو ن فهبّ لنصرتهم كــل ثـــائر

تحدى ابن الزيــان سخف اللئـــام، فمـات الشهيد فـداء الجـزائـر

وهل يخفض ابن الجزائر هاما ويجني جبينا أمــام الصراصر؟[1]

وفي هذه المجموعة الشعرية ذِكر لثورة الزعاطشة التي جرت أحداثها في واحة الزعاطشة قرب بسكرة، قادها الزعيم الشهيد "عبد الرحمن ابن زيان" سنة 1846، وفيها عقد الزعيم "عبد الرحمن بن زيان" معاهدة مع قيادة الجيش الفرنسي على أن لا يهاجموا الزعاطشة ويتولى هو إمدادهم بما يحتاجونه، وكان ذلك حيلة جزئية لربح الوقت والاستعداد لحملة الهجوم، إلا أن قبطانا فرنسا تفطن للحيلة ومال للاستفزاز والتحدي قائلاً: هل يوجد جزائريًا لا يسجد أمام قدماي؟ فقيل له: نعم عبد الرحمن بن زيان شيخ الزعاطشة، فأمر بجلبه فامتنع عن المجيء إليه، فأرسل إليه جيشًا فأباده، إلا أن الفرنسيين تمكنوا من السيطرة على الصور الذي وقفوا أمامه شهرًا كاملاً يموتون دون طائل، إلى أن فتحوا فيه ثغرة، والتي من خللها تمكنوا من الوصول إلى بيت الزعيم عبد الرحمن، فكان يدافع حتى خلعوا الباب، فجلس يصلي وأولاده وأهل بيته يقاومون غرفة بغرفة وهو يصلي، فجاء القائد الفرنسي وسأل: هل يوجد جزائري لا يسجد أمام قدماي، فقال له عبد الرحمن: أنا عبد الرحمن بن زيان، فقال القائد: إن خضعت أعاملك معاملة حسنة. فقال: كلا إني مجاهد في سبيل الله وأفضل أن أموت مجاهدًا من أن أعيش خائنًا لوطني، فقطع رأسه.

لقد كان للحيوانات أيضًا فضل كبير في الثورة الجزائرية:

بـارك فـأرًا... يـوزع نـــــارا فيخلع بالرّعب، قلب الجبـــان

ويلقى الشهادة شهمًـا كريمًـــا وقد عنا ذل الشقـــا والهـوان

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص: 52.

وطوبى لعنز يضلل جنـــــدًا ويخدع أحلاسه بالأمـــــان

وللكلب يهجر طبع النبـــاح ويهوى النميمـــة بالطيـــران

بذكـــراك تعتز إليـــــاذتي فأزكى التحيـــات يا حيوان![1]

إن "مفدي زكريا" يعتز بالحيوانات التي كان لها فضل عظيم في إخافة العدو، فهو يبعث لها أسمى التحيات، فالفئران كانت تطلى بالنزيل من طرف المجاهدين ويشعلونها، فتنطلق في المزارع ساحقة المحاصيل، وتشيع الرعب في أفئدة المستعمرين الطغاة، كما كانت تعلّق مصابيح صغيرة على جبهات العنز، فتتراكض فوق الطريف وتحته فيحسبها جنود العدو تحركات للجيش فيصوبون نحوها طلقاتهم، فيحاصرهم الجيش الجزائري من الاتجاه المعاكس، أما الكلاب فقد تم ترويضها لمدة طويلة وتعويدها عدم النباح، كما أن الكلاب تشعر بخطر الطائرات المطاردة قبل وصولها برهة مديدة فيكثر هيجانها وارتباكها فيحتاط لها المجاهدون.

ج) التناص من الأسطورة:

يقول "مفدي":

دلال المدّيـة أعيا الملـــــو ك وكم خـــاطب ودّها أخفقا

تنازعهـــا الروم والمســـلمون وحـــاول زيّـان أن يسبقـــا

وكـــادا بن توجين وابن مريـن بنـار المديـــــة أن يحرقـــا

ملائكة الله... هل نقلوهـــا؟؟ أجل... من رأى حسنها صدّقا[2]

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:77.

(2) المصدر نفسه، ص:43.

يزعم بعضهم أن "المدية" أو "المهدية" ومعناه أن البلدة قديمة وعتيقة، حسب الأسطورة، فإن المدينة في مكان آخر ثم نقلها الملائكة إلى مكانها، وهذا الاعتقاد راجع إلى الجمال الذي تتغنى به هذه المدينة.

كما يقول أيضًا:

وقالمــة تزهــر بجمالهـــــا يهـدهـد معســول أحلامــه

يشيع البخـــــار تباريحهـــا ويشكـو مواجــع آلامهـــــا

ويرجف بركــانهـا ســاخطـا فيمسخ صنـــــاع آثامهـــا

ويمضي الزمــان ويأتي الزمــا ن، فيضحك من دقن أصناهما

فيـــا لـــك أسطــورة لـم نـ زل تسير علـى هذي إلهامهــا[1]

فهذه الأبيات تحكى أسطورة خالدة في الأذهان، وهي قصة نعت الحمام وإضافته للمسخوطين، إنّ قِرَانًا وقع في إحدى القبائل المجاورة للحمام زفت فيه أخت لشقيقها، وأقيم حفل الزفاف بالحمام المذكور، في جمع حاشد يترأسه القاضي الذي حرر عقد النكاح، وسط عدوله وأعوانه، فسخط الله عليهم ومسخهم أحجارًا على أشكال آدمية، وانطلاقا من الإيمان بهذه الأسطورة جاء سخط سكان قالمة وضواحيها على كل باغٍ ومتهك للحرمات، وجاءت انتقاماتهم العارمة ضد الاستعمار في أحداث 1945، وصمدوا في وجه المجازر الوحشية التي كان يقوم بها الجلادان، "أنتياري" و"ليساراد كاربونيل" الذي شملهما القصاص بعد ذلك على يد الفدائيين.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:69.

وهكذا تتبين لنا من خلال دراسة هذه المجموعات الشعرية تلك الأصول المتجدرة التي كان يستمد منها شعر "مفدي زكريا" قوته، التي انعكست في نص "الإلياذة"، والتي منحت « النص شعريات متباينة تفعل دائرة التلقي بين المبدع والمتلقي»[1].

كما ساهمت في تشكيل تجربة الشاعر وإضفاء الجمالية.

2) استحضار الشخصيات:

لقد عجت "الإلياذة" باستدعاء عدد كبير للشخصيات التراثية، التي أضفت على النص الشعري دلالات وإيحاءات بالغة، فمفدي زكريا استعان بالشخصية التراثية من خلال « استغلالها بما تمتلكه من قدرات إيحائية، ناجمة عما ارتبط بها من دلالات في وجدان المتلقي ووعيه»[2]، فمنحت نص "الإلياذة قوة تعبيرية لا حدود لها من خلال تعدد وتنوع الشخصيات المتمثلة في الشخصيات والأبطال التاريخية والدينية.

أ) الشخصيات التاريخية:

لقد عرف شعر "مفدي زكريا" باستحضار الشخصيات والأبطال التاريخية، « لأن الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يوفق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم، التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي كما يهدف إلى إبراز روعة الماضي وتألقه وازدهاره»[3]، والأمثلة التاريخية لإلياذة الجزائر:

ويأتي علي رضوخ الجبـــا ن فتسمو به روحه الفائضة[4]

(1) حافظ المغربي: أشكال التناص وتحولات الخطاب الشعري المعاصر، ص:180.

(2) علي عشيري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، (د.ط)، دار الطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص:279.

(3) المرجع نفسه، ص:120.

(4) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:23.

وظف "مفدي" في هذا البيت شخصية من شخصيات الثورة وهو الشهيد "علي لابوانت" الذي حاصره "بيجار" مع جمع من الفدائيين في معقل من معاقل القصبة ووجه له النداء من وراء الجدار ليستسلم، فرفض الاستسلام واستشهد.

ويقول "مفدي":

فقام بولوغين فـــي عيدنـــــا يهزّ الدنـــــا، ويروع الأنـــــام[1]

فالشخصية هنا هي "بولوغين بن زيري بن مناد" بنى عاصمة الجزائر سنة 392هـ.

كما يذكر بطلين من أبطال التاريخ الجزائري فيقول:

دعوا ماسينيسا يردد صدانـا ذروه يخلـــد زكـــى دمانـــا

فجـاء يوغرطـة علـى هديـه بحكم الجماهير يفشـي الأمانـا!![2]

فماسينيسا هو ابن غاد الملك الأمازيغي حضر الحروب البونيقية وحارب الرومانيين والملك صفاقص، فانتصر عليهما وأقام إمبراطورية في نوميديا وجزء كبير من التراب التونسي، أما الشخصية الثانية "يوغرطة" هو أحد ملوك الأمازيغ وحفيد "ماسينيسا"، مؤسس الإمبراطورية الأمازيغية التي عاصمتها مدينة قرطا (سرتا)، فماسينيسا ويوغرطة ارتبط اسميهما بالانتصارات وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الشعوب.

ويتابع ذكر الشخصيات التاريخية فيقول:

سلوا طبريـــة يذكر تبيريوس تيكفرنـــاس يوالي الهجومـــا[3]

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:34.

(2) المصدر نفسه، ص:35.

(3) المصدر نفسه، ص:36.

فهنا "مفدي" يذكر شخصية "تيكفرناس" الثائر الأمازيغي الجزائري على عهد الإمبراطور الروماني "تيبريوس" باني طبرية، الذي انتصر على عدد كبير من جيوشه.

كما يقول أيضًا:

أشرشـــال!.. هـلا تذكرت يوبـــا؟ ومـــن لقبوا عرشك القيصريـــــة؟

وهـــذا أبولوس كـــان طبيبًـــــــا يدين لـــــه العـــــلم بالعبقريـــــة؟

وكـــــان أبولوس قاضي رومـــــا ليمنـــاه ترفع كـــــل قضيـــــة[1]

فمفدي في هذه الأبيات استعان بشخصيتي يوبا وأبولوس العالمين الكبيرين في تاريخ الجزائر القديم، فيوبا الثاني هو ولي عرش الأمازيغ بشرشال التي كانت تسمى قيصرية، كما كان عالمًا كبيرًا وسياسيًا ماهرًا وعسكريًا مظفرًا، والذي اتخذ من شرشال ضرة لروما وزينها بالمعالم الفاخرة والقصور والمعابد، أما "أبولوس" فكان شاعرًا وخطيبًا مصقعًا ورواية ممتازًا، كما كان عالمًا بالسحر وفنونه، ثم أصبح قاضيًا لروما وطبيبًا لمعالجة المرض.

يتابع "مفدي" في استحضار الشخصيات التاريخية القديمة المتمثلة في الأمازيغ فيقول:

وقلنـــــا كسيلة كان مصيبـــا وكـــــاهنة الحـــي أعلم منـــا![2]

ذكّرنا "مفدي زكريا" في هذا البيت بالملك البربري "كسيلة" الذي قتل "عقبة" ومن معه سنة 682م، أما الكاهنة فهي المرأة البربرية التي كانت تحكم مناطق الأوراس، والتي شاركت "كسيلة"، في قتال جيش "عقبة".

ومن شخصيات التاريخ القديم إلى التاريخ الوسيط وأبطاله:

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:37

(2) المصدر نفسه، ص:39.

ولعلع في بربروس نداهـــا فثـار... وأقسم أن لا يعود[1]

وهنا الشاعر يستنجد بالبطل "خير الدين بربروس" وأخوه "عروج" البطلان الجزائريان من أصل تركي، قضيا حياتهما في مقاومة القرصنة الصليبية وحماية المسلمين من هجمات الإسبان، كما كان أسطولهما يسيطر على البحر الأبيض المتوسط.

كما ذكر "مفدي" أبطال الثورة وشهداء المقاومة والكفاح ضد الاستعمار الفرنسي، فيقول:

عزا لاموريسيير أحمد باشا فقمنا بسيرتا نصون الحمى[2]

نشطت المقاومة في شرق البلاد على يد "أحمد باشا" وهو باي قسنطينة ولاموريسيير وهو قائد الاحتلال في قسنطينة سنة 1937م.

ومن شرق البلاد إلى غربها مع "الأمير عبد القادر" الذي قاوم الاحتلال ببسالة لثماني عشرة سنة فيقول فيه "مفدي":

أيـا عبد قـادر كنت القديـرا وكان النضال طويلا عسيرا[3]

فقد بويع الأمير "عبد القادر" سنة 1832م بالإمارة على الغرب، فعرف بالشهامة، وقوة الشكيمة، والرأي الحصين، كما كان إلى جانب بطولاته الحربية شاعر ملهم تفيض معانيه بالمشاعر النبيلة.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:48.
(2) المصدر نفسه، ص:50.
(3) المصدر نفسه، ص:51.

ثم يتابع بذكر أبطال الثورة قائلاً:

تلقف رايتك ابن الجـــزائر وعند ابن زيـان تبلى السرائر[1]

وفي هذا البيت بطل آخر قاد المقاومة في منطقة بسكرة وهو قائد ثورة الزعاطشة الزعيم "عبد الرحمن بن زيّان" الذي وقف ندًا أمام الاستعمار الفرنسي واستشهد شجاعً غير قابل لخيانة الوطن.

كما ظهرت أيضًا ثورة أخرى في جبال جرجرة تقودها امرئ تسمى "لالا فاطمة" التي صمدت ضد الاستعمار. يقول مفدي:

وتذكر ثورتنـا العـــارمة بطولات سيدتـــي فـــاطمة[2]

وفاطمة هنا هي "لالا فاطمة نسومر" التي قادت الثورة في جبال جرجرة، من 1856م إلى 1857م، كما صمدت ضد ست جنرالات فرنسيين: "فاستو"،"رينو"،"يوسف"، ماكماهون"، "ميسيا"، "ديلني".

ومن بلاد القبائل إلى جنوب الوطن مع بطل الصحراء "ابن شهرة" الذي يقول فيه "مفدي":

وصحراؤنا وابن شهرة فيها يهيل على الغاصبين الرمالا[3]

وهو "ابن ناصر ابن شهرة"، قام بالثورة في الجنوب، امتدت من الأغواط إلى ورقلة وعين صالح.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:52..
(2) المصدر نفسه، ص:53.
(3) المصدر نفسه، ص:54.

ومن أبطال الثورات المسلحة إلى أبطال الكفاح السياسي والفكري ومن بينهم جمعية العلماء المسلمين وأعضائها الإصلاحيين:

ويعضد بـــاديس فيهـا البشير فتزخر بها لخلص الأصفيـاء[1]

وهنا "مفدي" يلمح للعلامة "عبد الحميد بن باديس" ورفيقه "محمد البشير الإبراهيمي"، فابن باديس هو أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين والذي تصدى للعدو بقلمه، من خلال إنشائه للجرائد منها: "المنتقد و"الشهاب"، أما "البشير الإبراهيمي" ترأس الجمعية بعد "ابن باديس"، عضو المجامع العلمية بالقاهرة من آثاره "عيون البصائر"، وآثار مخطوطة.

يتابع "مفدي" حديثه عن مؤسسي الكفاح السياسي قائلاً:

رعى الله عيمش في الخالدين وكحّال فـي الســابقين الكـرام

ورابح تعبـــق أنفـــــــاسه وعزافـــة الوطنـــي الهمــام

وعسلـــــــة يند بـه طالب فيلحقـــه بعد مر السقـــــام[2]

ففي هذه الأبيات يذكر "مفدي زكريا" مجموعة من المناضلين بداية من "عمر عيمش"، وهو من المشاركين في تأسيس حزب نجمة إفريقيا الشمالية، و"أرزقي كحّال" من الأبطال الذين خاضوا معركة النضال بحماس نادر في صف نجمة إفريقيا الشمالية، أما "رابح موساوي" من مؤسسي نجمة إفريقيا الشمالية ومن أبرز مناضليها، كذلك الشهيد "إبراهيم غرافة" من طلائع الرعيل الأول في النضال الوطني ومن الأفذاذ القلائل الذين ذابوا في معركة التحرير؛ و"حسين عسلة" من أشجع وأنشط أبطال حزب الشعب، وكذلك "محمد طالب" من مفاخر حزب النجمة وحزب الشعب.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:58.

(2) المصدر نفسه، ص:64.

ومن هذه الدراسة يتبين لنا أن "مفدي زكريا" استعان في شعره باستحضار الشخصيات التاريخية والتي زادت من قوة النص الشعري وإضفاء الجمالية له، وهذا ما « حمل هذه الشخصيات التاريخية دلالات بالغة الغنى والتنوع»[1]، والتي تزيد المتلقي من استعمال عقله والبحث في دلالات هذه الشخصيات، وكذا التعرف عليها وعلى روعة الماضي وتألقه.

ب) الشخصيات الدينية:

لقد عجت "الإلياذة" باستحضار الشخصيات التراثية ومنها الشخصيات الدينية التي عرفت حضورًا في شعر "مفدي زكريا"، لأنه من خلالها « يوصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على الإيحاء والتأثير لأن المعطيات الدينية تكتسب لونًا خاصًا من القداسة في نفوس الأمة»[2]، ومن الشخصيات الدينية المعروفة هي شخصيات الأنبياء والرسل التي استعان بها "مفدي زكريا" في شعره ومن الأمثلة التي تبرز ما ذكرناه.

يقول "مفدي":

أولئك آبـاؤنـا منذ عيسـى وكـان محمدًا صهرًا لعيسى[3]

وفي هذه الأبيات يستحضر الشاعر شخصيتي سيدنا عيسى عليه السلام ابن مريم، نبي الله المرسل المعروف بالتسامح والنقاء، أما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل المعروف بالأمانة والصدق كما يمثل النور والخير على أمته.

يتابع في ذكر الأنبياء والرسل قائلا:

كأنك تصغـي بهـا للخليـ ل وموسى الكليم يرتل صحفا[4]

(1) علي عشيري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص:127.
(2) المرجع نفسه، ص:16.
(3) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:38.
(4) المصدر نفسه، ص:30.

ويقصد هنا بالخليل هو سيدنا إبراهيم عليه السلام خليل الله ونبيه المعروف بالتضحية والفداء في سبيل الله والعقيدة، أما موسى عليه السلام كليم الله المبعوث لنبي إسرائيل، والذي انتصر على الجبروت والطاغية فرعون.

كما يقول أيضًا:

وتفـــاحة أخرجت آدمـــــا من الخلد مذ لعنتـه السَّمَـــا

ولكن حواءنـــــا بَلَعَتهـــا وبالعـــلج أبدلت المسلمـــا

وتغضب عيسى المسيح، وتبكي علـــى جذع نخلتهـــا مريمـــا[1]

في هذه الأبيات يلمح "مفدي زكريا" إلى قصة آدم عليه السلام، أبو البشرية وخروجه من الجنة وإرساله إلى الأرض مع زوجته أمنا حواء، كما نرى أيضًا أن "مفدي زكريا" ذكر بنت عمران أم سيدنا عيسى عليه السلام التي هي مثال المرأة الطاهرة العفيفة.

كما يذكر "مفدي" في نصه الشعري أبطال الإسلام الخالدين في الذاكرة والمحفورة في القلب والعقل، فيقول:

وجندت مـن خـالد بن الـــوليد وسعد بن وقـــاص أبطـــاليه[2]

وهنا يشير الشاعر إلى بطلين مغوارين وهما "خالد بن الوليد" سيف الله المسلول قائد الفتوحات الإسلامية، الذي عُرف بشجاعته وجهاده في سبيل العقيدة الإسلامية وإعلاء كلمة الحق وراية الإسلام، والبطل "سعد بن قاص" الصحابي الجليل المعروف بشجاعته في الحروب ضد الكفار، والذي قاد الفتوحات الإسلامية مع خالد بن الوليد؛ فاسميهما مرتبطان بالشجاعة والجهاد في سبيل الله والدين الإسلامي.

(1) مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ص:101.

(2) المصدر نفسه، ص:81.

فمن خلال هذه الدراسة المتواضعة لهذه المجموعات الشعرية التي استدعت الشخصيات التراثية المتمثلة في الشخصيات التاريخية والدينية، نستخلص بأن الشاعر "مفدي زكريا" أضفى على شعره قوة وبلاغة تزيد في جمال شعره، فتثير في المتلقي دلالات وتعبيرات لا حدود لها، كما « تكتسب تجربة الشاعر باستدعاء الشخصيات التراثية غنى وأصالةً وشمولاً في الوقت ذاته، كما تعمل على إضفاء نوع من الموضوعية والدرامية على عاطفة الشاعر الغنائية»[1].

وهذا ما عرفته "إلياذة الجزائر" التي تعتبر قاموس تاريخي للجزائر من أحداث متسلسلة وبطولات وشخصيات عظيمة كان لها دور في رسم تراثنا التاريخي.

(1) علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص:20.

خـــاتمة

خاتمة:

بعد هذه الرحلة الشاسعة في "إلياذة الجزائر" هاهي نهاية المطاف تبرز بهذه الصورة المتواضعة، وما ذلك إلا بفضل الله عز وجل.

ولقد توصلنا من خلال دراستنا للموضوع "الروح الثورية في شعر مفدي زكريا" إلى جملة من النتائج والمتمثلة في:

❋ إنّ الأحداث المبثوثة في "الإلياذة" هي أحداث حقيقية واقعية تعج بالحركة والمعاناة في سبيل الوطن، وبطلها ليس خرافيًا أو أسطوريًا؛ بل بطل حقيقي صنع تاريخه بيده، شعب عبقري رفض الرضوخ والاستسلام للغزاة، فقد خرج "مفدي" في إلياذته عن نمط ملاحم اليونان، والرومان، والفرس التي تتغني بالأساطير، والخرافة، ومحاكاة الجن... ليخرج لنا بملحمة عربية جزائرية الطابع، وبميزات خاصة، ملحمة خلدت أمجادًا حقيقيةً، وسجلت تاريخًا وأحداث صنعها الإنسان الجزائري بنفسه، وليست من صنع الخيال، كما في الملاحم القديمة.

❋ لقد استطاع "مفدي زكريا" الالتزام بالقضايا الوطنية والقومية؛ فقد رأيناه شاعر الثورة الجزائرية بلا منازع، كما وجدناه شاعر المغرب العربي الكبير، فهذه هي "إلياذة الجزائر"، وذلك هو التاريخ الجزائري الذي سجله الأديب، والشاعر، والمؤرخ "مفدي زكريا" بحروف من ذهب، فقد أجاد تصوير تاريخ الجزائر بأكمله من خلال إلياذته، فهي قبل أن تكون شعرًا، فهي تاريخ شعب بأمجاده وبطولاته، وبالتالي فهي محاولة لإعادة كتابة تاريخ الجزائر والتركيز على أهم الأحداث، والشخصيات، فالتاريخ عنده وحدة متكاملة وفي تواصل وامتداد.

❋ لقد أثرت "الإلياذة" في نفوس الشعب الجزائري، فأصبح يعتز بوطنه المعجزة، ويفتخر بشهدائه، وبجيل الثورة، وبكل تلك الدماء الزكية التي يعجز اللسان عن شكرها، بالإضافة إلى أنها وطدت العلاقة بين الفرد والجماعة، وغرست فيهم الاعتزاز بالنفس والوطن.

خاتمة:

❋ ومن خلال البعد الفني تمكنا من التعرف على خصائص لغة الشاعر التي تتميز بحس وجداني مرهف. وقد استعمل الشاعر في قاموسه الشعري مفردات استمدها من القرآن الكريم؛ وهذا يدل على تشبعه بالثقافة الإسلامية، ورُسوخ المنزع الديني، وتبيين أثر النسج القرآني في إلياذته، ومقاومته الظلم والطغيان، بالإضافة إلى المعجم الطبيعي الذي أشاد فيه بأرض الجزائر؛ وهي بسهولها، ووديانها، وغاباتها، دعامة كبرى لنصرة الثورة، لذا كانت من صور الإبداع الإلهي، ومنبت الرجال الأفذاذ الذين قدموا أنفسهم قربانًا لتحيا الجزائر حياة أبية، أما المعجم الآخر وهو المعجم الثوري؛ حيث استمد ألفاظه من واقع الثورة الجزائرية، ونضالها من المغتصب منذ أمد طويل، وقد شارك فيه الأمازيغ، والترك،، وبنو سيدي الشيخ، ورجال نوفمبر، وشهداء عشرون أغسطس وغيرهم، فنصر الجزائر لم يكن وليد نوفمبر فحسب؛ بل حُقق بواسطة هذه التضحيات الجسام من كافة أفراد المجتمع، بالإضافة إلى مشاركة الحيوان في هذه الثورة.

❋ كان للازمة الشعرية الأثر البالغ في توكيد المعنى وترك الجو العام؛ أي جو البطولة يطغى على كل أجزاء "الإلياذة"، وهي بمثابة صرخة تنبئ بطلوع فجر جديد، وجزائر مشرقة، وكان لها الأثر البالغ على المتلقي فأصبح يعيش الحدث الشعري، وإن لم يشارك هو فيه.

❋ لقد تعددت الإيقاعات في "الإلياذة" بتعدد التفعيلات وتنوعت، و"مفدي زكريا" لم يلتزم قافية محددة في كل المقطوعات ولا بحرًا واحدًا؛ لكن الإيقاع جاء متناسبًا مع الأبيات الشعرية وحتى الألفاظ مناسبة متماشية وموسيقى الأبيات، فتكرار التفعيلات على مستوى الأبيات أدى إلى خلق إيقاع صاحَب الأبيات والموقف الشعوري، فقد حدث تناغم، فالإيقاع الشعري يقتضي تتبع الألفاظ والموسيقى الصادرة عن التفاعيل العروضية.

❋ كان "مفدي" يستوحي الصور الموجودة في "الإلياذة" من القصص القرآنية، إذ يستلهمها عادة من قصص الأنبياء عليهم السلام، ونجده يوظفها عندما يريد تصوير عظمة الثورة وعظمة

خاتمة:

الجزائر وأبنائها وتشبثهم بهذه الأرض ومواجهتهم الظلم والطغيان، وقد كان يستخدم إلى جانب هذه الصور الأسلوب الرمزي، وكأن فعل الثورة المعجز لا يقل نجاعةً وتأثيرًا عن نجاعة وتأثر معجزات الأنبياء والرسل.

❋ وقد كان "مفدي" يعتمد أيضًا في بناء صوره الشعرية على المعلومات التاريخية، واتخاذه لها مادة أساسية، فوجدناه يستعرض في إلياذته هذه أهم أحداث التاريخ الجزائري ابتداءً من العصر الروماني حتى بعد الاستقلال؛ إذ قسمت هذه العصور إلى ما يشبه لوحات فنية.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول أن "إلياذة الجزائر وثيقة هامة وثورة حضارية، تاريخ وعبقرية من شاعر لم تغب عن ذهنه تلك الأحداث المأساوية، فكانت أروع سجل للبشرية وخير شاهد لها، وسيبقى "مفدي زكريا" رمز الزمن المتميز أدبيًا وتاريخيًا في الجزائر، فقد خلد "مفدي زكريا" تاريخ الجزائر، وخلدت بذلك "الإلياذة" مفدي الذي ما عرفت محبًا لها، وما عرفت الجزائر عشيقًا، ولا مخلدًا لذكراها بعده.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

أولا: المصـــــادر:

1- أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، .2000

2- أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، .1998

3- ابن منظور: لسان العرب، ضبط نصه وعلق حواشيه خالد رشيد القاضي، ط1، ج2، دار صبح وأدسيوفت، بيروت، لبنان، .2006

4- أحمد سحنون: ديوان أحمد سحنون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

5- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط6، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

6- شعبان عبد العاطي عطية وآخرون: معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.

7- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980.

8- محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي: المختار من صحاح اللغة، د/ط، مطبعة الاستقامة، القاهرة، .1934

9- محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010.

10- مفدي زكريا: إلياذة الجزائر، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.

11- مفدي زكريا: أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، جمعه وحققه مصطفى بن الحاج بكير حمودة، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، 2003.

ثانيا: المراجع:

1- أبو القاسم محمد كرّو: دراسات في الأدب والنقد، (د.ط)، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1990.

2- أحمد شرفي الرفاعي: الشعر الوطني الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010.

3- أيمن تعليب: قصيدة الثورة في الخطاب الشعري المعاصر جدل الشعر والسلطة، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2010.

4- بدوي طبانة : قضايا النقد الأدبي، (د.ط)، دار المريخ للنشر، ، الرياض، .1984

5- بلحيا الطاهر: تأملات في إلياذة الجزائر، (د.ط)، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

6- جواد إسماعيل عبد الله الهيثم: الالتزام في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر، رسالة الماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2010ـ 2011.

7- حافظ المغربي: أشكال التناص وتحولات الخطاب الشعري المعاصر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، .2010

8- ربيعة الكعبي: العروض والإيقاع في النظريات الحديثة للشعر العربي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2006.

9- شوقي ضيف: البطولة في الشعر العربي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1984.

10- صالح المباركية: الآداب الأجنبية القديمة والأوروبية، (د.ط)، دار قانة للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، 2007.

11- ظاهر محسن جاسم: ظاهرة التزام الشاعر في الأدب الإسلامي، مجلة ينابيع، العدد25، رجب، شعبان1429هـ.

12- عبد الله ركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، د/ط، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، (د.ت).

13- عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د، ت).

14- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط5، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1994.

15- عزيز السيد جاسم: دراسات نقدية في الأدب الحديث، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995.

16- علي عشيري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، (د.ط)، دار الطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

17- عهود عبد الواحد العكيلي: الصورة الشعرية عند ذي الرمة، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2010.

18- غالي شكري: شعرنا الحديث إلى أين، (د.ط)، دار الشروق، القاهرة، بيروت، (د.ت).

19- فوزي عبد القادر الميلادي: من أدب المشرق والمغرب، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998.

20- قصي الحسين: النقد الأدبي عند العرب واليونان معالمه وإعلامه، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، .2003

21- محفوظ كحوال: أروع قصائد مفدي زكريا، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، قسنطينة، (د.ت).

22- محمد حسن فتح الباب: ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2005.

23- محمد صالح الجبّاري: الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، 2005.

24- محمد علي الكندي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2006.

25- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، (د.ط)، صدر هدا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.

26- محمد ناصر: مفدي زكريا " شاعر النضال والثورة"، ط2، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1987.

27- محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، دار النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، المجلد1، 2007.

28- نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر "الاتباعية الرومانسية ـ الواقعية الرمزية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

29- نصرت صالح عبد الرحمن: في النقد الحديث دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية، ط1، دار جهينة، عمان، الأردن، 2007.

30- يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا، دراسة فنية تحليلية، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 1987.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة.....أ–د

مدخل: نبذة عن حياة "مفدي زكريا"

أولا: التعريف بمفدي زكريا: 07

نسبه: 07

أسرته: 08

العوامل المؤثرة في نجاحه كشاعر: 08

شخصيته: 09

شاعريتــه: 10

نضاله السياسي: 10

وفاتــه: 11

آثـــاره: 12

الفصل الأول: الثورة والالتزام:

أولا: مفهوم الثورة في المصطلح اللغوي والسياسي: 15

أ) مفهوم الثورة في المصطلح اللغوي: 15

ب) مفهوم الثورة في المصطلح السياسي: 16

1– مفهوم الشعر الثوري: 18

2- دور الشعر الثوري في الكفاح المسلح: 20

3- مميزات الشعر الثوري الجزائري: 21

3-1- شعر القضية وشعر النضال ضد الاستعمار: 22

3-2- شعر الدفاع عن الحقوق الوطنية: 22

3-3- التشابه في المواضيع والأغراض: 22

3-4- الروح الخطابية: 24

3-5- واقعية الشعر الوطني الجزائري: 25

4- أمثلة عن بعض الأشعار الثورية: 26

ثانيًا: مفهـــوم الالتـزام: 30

لغـــة: 30

اصطلاحـــــا: 30

1- الالتزام من منظور الاتجاهات الغربية:.....31

1-1- الالتزام في الواقعية الاشتراكية: 33

1-2- الالتزام عند الوجوديين: 34

2- الالتـزام والثـورة: 35

الفصل الثاني: تجليات النفس الثوري في الإلياذة:

أولا: النفس الملحمي البطولي: 39

ثانيا: المعجم الشعري: 73

ثالثا: شعرية المطالع واللازمة: 83

رابعا: قوة الإيقاع: 85

أ) الإيقاع الخارجي: 86

ب) الإيقاع الداخلي: 89

خامسا: الصورة والرمز: 97

1) الصورة الشعرية: 97

2) الرمز: 101

سادسا: التناص واستحضار الشخصيات: 106

1) التناص: 106

أ) التناص من القرآن الكريم: 106

ب) التناص من التاريخ: 109

ج) التناص من الأسطورة: 112

2) استحضار الشخصيات: 114

أ) الشخصيات التاريخية: 114

ب) الشخصيات الدينية: 120

خاتمة: 124

قائمة المصادر والمراجع: 127

فهرس الموضوعات: 133